

هارون هاشم رشيد

وردة

على

جبين

القدس

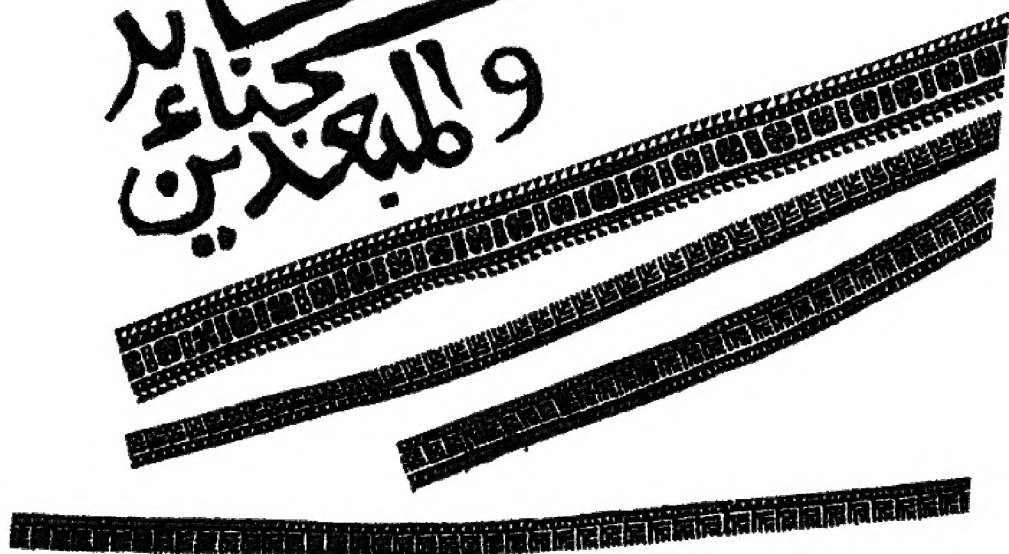
قصائد

للسجناء

والمبعدين

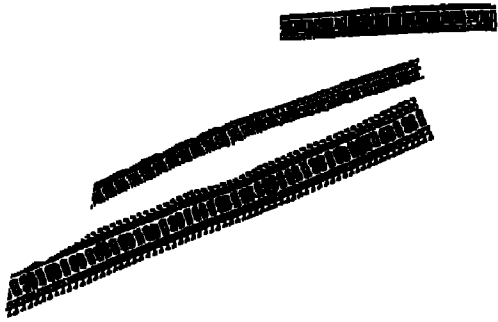
دار الشروق

لاقصائد
والمبعدين



طبع هذا الديوان
على نفقة
السيد / عدنان يوسف العلمي
ابن غزاة البار

للقصائد والمبتدئين





دار الشروق

القاهرة : ١٦ حواد حريق - هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨

٣٩٢٩٣٣٣ فاكس : ٣٩٣٤٨١٤ (٠٢) فاكس :

SHROK UN 93091 بروت : ص.ب. ٨٠٦٤

هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣ فاكس :

٨١٧٥٥٥ - فاكس : SHOROK 20175 LE

الطبعة الأولى ١٩٩٨

تصميم ورسم : محمد حوسي

١١١

١١١

١١١

نشر . هارون قاسم ربيع

إهداء..

إليهم ...

فى ليل الظلم والقهر...

إليهم ...

إلى الأعزاء الذين أحبوا الوطن وافتدوه

إلى من أحبوا الحرية

وشقوا الطريق إليها

إلى كل السجناء والأسرى

فى سجون الإحتلال الظالم

بشراهم بالفجر

وبشراهم بالنصر

هارون

صباح الخير للسجناء ..

((اليهم إلى كل الأسرى والسجناء
في ليل السجن الصهيوني))

(١)

صباحُ الخيرِ ..
تحميلها إلى الأحبابِ
أسرابُ الحساسينِ
تدورُ بها مولهةٌ على كُلِّ الزنازينِ
تَحُطُّ على شبَّايكِ مُغلَّقةٍ
وتُنشِدُ للمَسَّاجينِ
وتَحْمِلُ شِلْحَ زَنْبَقَةٍ لَهُمْ
أو غُصْنَ زَيْتُونِ
مِنَ الْوَطَنِ الَّذِي لَا مِثْلَهُ
أَحلى
مِنَ الْوَطَنِ الْفَلَسْطِينِي

(٢)

تَقُولُ لَهُمْ : صَبَّاحُ الْخَيْرِ

لِلْغُرِّ الْمِيَامِينَ
صَبَّاحُ الْخَيْرِ مِنْ «عكا»
وَمِنْ «يافا»
وَمِنْ رِبَوَاتِ حَظِينِ
وَمِنْ «غزة»
مِنْ مَسْجِدِهَا الْمَغْمُورِ
مِنْ نَفْحِ الْبَسَاتِينِ

(٢)

صَبَّاحُ الْخَيْرِ مِنْ أَهْلِيكُمْ الْبُسْطَاءِ
مِنْ لَيْلِ الْمَسَاكِينِ
وَمِنْ أَوْجَاعِ مَظْلُومِ
وَمِنْ أَنْاتِ مَحْزُونِ
صَبَّاحُ الْخَيْرِ
مِنْ تَوَقِّ النَّوَى الْمَشْبُوبِ
مِنْ نَبْضِ الشَّرَّائِينِ

(٤)

صباحُ الخيرِ
يا أحبابنا الأحرار
يا أملَ الملايينِ
ويا لمعَ السَّنا، والضُّوءِ
فى ليلِ التَّشَارِينِ
على ميعادنا نبقى
على العهدِ الفلسطينيِّ . .



القاهرة ١٩٩٧

عيني على السُّجَّاء

[مع كل فجر يهزم الظلام .. مع كل صباح
ينشر الأمل .. صباح الخير لهم]

(١)

عيني عليهم، في ظلام القهر، في السُّجْن الكبير
عيني عليهم، بين موقف، ومسجون، ومعتقل أسير
عيني عليهم في زنازين العذاب المرَّليل الزمهرير
أعلى الرجال همو، وخيرة نسوة الشعب الجسور

(٢)

أحصي، ومن أحصي ..؟ يتوه العُدُّ يغرق في السُّطور
آلاف، ما من سامع صوتاً لهم، ما من مُجِير
ما حالهم ..؟ لا الغوث يبلغهم، ولا صحو الضمير
فالنَّاسُ مشغولون عنهم في تصارييف الأمور
النَّاسُ مشغولون في زهو المناصب والقصور

شغلتهم الدنيا، عن السُّجْناء عَنْ أَغْلَى الثُّسُورِ
عَمَّنْ عَلَى دَرْبِ الْفِدَاءِ مَشُوا، عَلَى صَوْتِ النَّفِيرِ
حَمَلُوا الْأَمَانَةَ، صَادِقِينَ، مَشُوا عَلَى لَهَبِ السَّعِيرِ
لَا الظُّلْمُ أَرْهَبُهُمْ، وَلَا حَادُوا عَنْ الْهَدَفِ الْكَبِيرِ

(٣)

عيني عليهم . . خاطري، حُبِّي أَحَاسِيْسِي شُعُورِي
أَهْلُوهُمْ فِي الْحُزْنِ وَحَدَهُمُ فِي الْقَلْقِ الْمَثِيرِ
تَتَطَاوَلُ الْأَيَّامُ قَاسِيَةً تَوَالِي بِالسَّنِينَ وَبِالشُّهُورِ
مَنْ قَدْ رَأَاهُمْ تَحْتَ هَطْلِ الْغَيْثِ فِي الْيَوْمِ الْمَطِيرِ؟
أَوْ مَنْ رَأَاهُمْ تَحْتَ عَيْنِ الشَّمْسِ فِي الْيَوْمِ الْحَرُورِ؟
سَاعَاتٍ . . هُمْ فِي الْإِنْتَظَارِ لِإِذْنِ جَلَادٍ غَرُورِ

(٤)

سُجْنَاءُ نَحْنُ كَمَا هُمُ، فِي الْقَيْدِ فِي ذُلِّ الْمَغِيرِ
أَنْفَاسُنَا مَخْنُوقَةٌ، وَالنَّارُ تَغْلِي فِي الصُّدُورِ
مَنْ نَحْنُ فِي دُنْيَا التَّخَاذُلِ وَالتَّرَاجُعِ وَالْغُرُورِ؟
مِنْ غَيْرِ أَنْ تَعْلُو لَنَا الرَّايَاتُ فِي كُلِّ الثُّغُورِ

مِنْ غَيْرِ تَحْقِيقِ السَّلَامِ الْعَدْلِ تَقْرِيرِ الْمَصِيرِ
مِنْ غَيْرِ أَنْ نَلْقَاهُمْ طَلْقَاءَ مَنْ قَيْدٍ وَنِيرِ
مِنْ غَيْرِ عَوْدَتِهِمْ نَظْلُ كَطَائِرِ الْحُزَنِ الْكَسِيرِ
فَهُمُ الْبَشَارَةُ بِالصَّبَاحِ الْحُرِّ بِالْفَجْرِ الْمُنِيرِ
وَلَهُمْ وَلَيْسَ لَغَيْرِهِمْ جُدِلَتْ أَكَالِيلُ الزُّهُورِ



القاهرة : ١٩٩٤



عبد الهادی سلیمان غنیم

وردة على جبين القدس

[عبد الهادي سليمان غنيم ابن معسكر النصيرات في
قطاع غزة بطل عملية الحافلة رقم ٤٥٥ على طريق
القدس الذي يواجه حكما [إسرائيليا بستة عشر مؤبدا]

(١)

«اللهُ أكبرُ» .. فُجِّرَتْ تَتَرَدَّدُ
والقدسُ، شاخِصَةُ المَآذِنِ تشهدُ

«اللهُ أكبرُ» .. يومَ أَطْلَقَها الفتي
عبرتْ إلى أم الشَّهيدِ، تُزْغَرِدُ

قالتُ لها: ثاراتنا لما تزلُ
نُبْرَاسَ ثورتنا، يُضِيءُ، ويُوقِدُ

مَنْ قالَ أَنَّا قَدْ نَسِينَا ثَارَنَا
أو أَنَّا عَن ثَارِنَا نَتَرَدَّدُ

عَيْنُ بَعِينٍ، لَنْ نُغَيِّرَ نَهْجَنَا
سِنْ، بِسِنْ، شِرْعَةٌ تَجَدُّ

(٢)

«اللهُ أَكْبَرُ» .. يَوْمَ فَجَّرَهَا الْفَتَى
رَقَّتْ، كَطِيرٍ فِي السَّمَاءِ يُغَرِّدُ

حَمَلْتُ جِرَاحَاتِ الْأَسَى، وَعَذَابَهُ
وَتَنَقَّلْتُ، تَرَوِي الْحَكَايَا، تُسَرِّدُ

مِنْ أَيْنَ؟ مَنْ هَذَا الْفَتَى؟ مَا إِسْمُهُ؟
وَلِمَنْ أَطْلَ صَبَاحُهُ الْمُتَوَقِّدُ؟

حَمَلَ الْعَذَابُ شَهْوَرَهُ وَسَنِينَهُ
وَأَتَى كَمَا السَّيْفُ الْمَهْنَدُ يُجْرِدُ

مِنْ شَاطِئِ الْأَحْزَانِ، حَيْثُ تُرَعْرَعَتُ
رُوحُ الْبَطُولَةِ، .. وَجْهُهُ الْمُتَمَرِّدُ

ومن «النُصيرات» الذي قاسى الفتى
ليسلاته، دوى النفيرُ المُرعِدُ

إن «النُصيرات» الحبيبُ مُكَبَّلُ
بسلاسلِ الغزو الرهيبِ، مُقَيَّدُ

وجراجُه، لَمَّا تزلُ مفتوحةُ
ما مِنْ يدٍ تأسوُ الجراحَ تُضمِّدُ

ما زالتِ الدُّورُ التي عن أهلها
سُلِخت، تُشيرُ حنينه، وتُجَدِّدُ

ما زالَ: ماذا عنه فيضُ خواطرٍ
تَنُرى، وأفكارُ تُثارُ وتُسَرِّدُ

هو كانَ، لما أُسِّستْ أكوأخه
وأقيمَ يحلمُ بالرجوعِ، ويُوعدُ

العائدون به على ميعادهم
يترقبون متى يحين الموعدُ

نشأ التلاميذ الصغار تواليًا
أجيال في حضن الشقاوة تولدُ

يتعلمون صباح كل ترقبٍ
أن الجهاد هو الطريق الأوحـدُ

وبأن مَـوَطنهم، لهم أبدأ، وإن
طال الطريقُ بهم، وعزَّ المَقْصـدُ

كان الشُّتاءُ يزورهم، فيثيـرهم
ويؤرقُ الليلَ الطويلَ، ويُسهـدُ

وتظلُّ أعينهم، تتابعُ قطرةً،
في قطرة، من قطرة، تتَقَصَّدُ

والموتُ، منجلُ حاصدٍ مُستكـلبٍ

جوال ينتزعُ الحياةَ، ويحصدُ

عيشُ اللجوءِ، ومنْ يُكابِدُ بؤسَهُ

يَدْرِى لماذا اللاجئونَ تَمَرَدُوا

(٣)

هُوَ مِنْ «قِطَاعٍ»، صامِدٌ مُسْتَبْسِلٌ

منهُ الشَّرَارَةُ والدَّوى المُرْعَدُ

حَمَلَ الأذى زَمَنًا، وَمَا مِنْ مَرَّةٍ

خَانَ الأمانةَ شَعْبُهُ المتَجَلْدُ

الجوعُ يَصْرخُ فِيهِ، فى أنْحائه

والموتُ يَصْخَبُ ظالِمًا وَيُعْرِدُ

كَمْ طفلة غَالُوا ابْتِسَامَةً عُمْرَهَا

ولكم صَبِي يَتَمَوَّهُ وشَرَّدُوا

ولكم ألف عوقوهم غيلة،
أو كسّروا أطرافهم، أو قيّدوا

«أنصار» يا وطن العروبة سُبّة
في وجه من شجبوا البلاء وندّدوا

ففيه من الآلام ما لا مثلها
عين رأت أو أبرياء هُدّدوا

حظر التجّول تحته في ظلّه
يتحرك الجيش المغير، ويُفسد

أيامه تمضي كماليلاته،
سوداء حالكّة، تُذلُّ، وتُجهّد

يتقلبُ الباغون، كلُّ مغامرٍ
منهم يُجَرَّبُ حظه ويُفند

ويظلُّ كالطود العظيم قطاعنا

فِي وَجْهِهِ مِنْ ظَلَمُوا يَعِزُّ وَيُضْمِدُ

تَتَنَاقَلُ الدُّنْيَا، حَدِيثُ شَقَائِهِ
وَبَيِّنَاتِهِ وَصُورِهِ، وَتَمَجُّدُ

(٤)

غَنَى صَغِيرًا «عَائِدُونَ» وَلَمْ يَعِدْ
وَتَخَلَّفَ النَّصْرَاءُ عَنْهُ، وَحُيِّدُوا

رَسَمَ الْبِلَادَ بِقَلْبِهِ وَعَيُونِهِ
شَبْرًا، فَشَبْرًا، بِالدِّمَاءِ تُحَدِّدُ

سَكَنَتْهُ إِنْسَانًا يَمُوجُ طُمُوحُهُ
لِغَدٍ يُضَيُّ بِهِ، وَيُسَعِّدُهُ الْغَدُ

قَدْ شَاءَهَا وَطَنًا عَزِيزًا نَاعِمًا
بِالنَّصْرِ يَرْفُلُ، بِالْمَحَبَةِ يَسْعَدُ

قد شاءها وطنًا ترفرف فوقه
أعلامه، وبه يعز ويخمد

ما خائنه يومًا، ولا عن دربه
مماالت به ربح ولا طاشت يد

(٥)

دار الفستى، عينان فى أفق الدما،
تتلاآن، وقد أطل الموعد

فى الاعتقال، وفى السلاسل إخوة
من أهله ذاقوا العذاب وقُسيّدوا

فهناك فى حِضْنِ «النصيرات» الذى
فى الانتظار حبيبة تتوجد

هى أمه من أرضعتة رجولة،
وبطولة، وبه تنبيه وتُسعد

تَدْرِى، بَأَن طَرِيقَهُ مُلَغُومَةٌ
تَدْرِى.. وِيدْرِى قَلْبُهَا، وَيُعَدُّ

لَكِنَّهَا نَذَرَتْهُ مُنْذُ وَجُوْدِهِ
لِبِلَادِهِ.. وَفَرَّادَهَا يَتَنَهَّدُ

هِيَ مِثْلُ كُلِّ الْأَمْهَاتِ تَرِيدُهُ
يَهْنِى، وَيَبْنِى عُسَّه، وَيُشَيِّدُ

لَكِنَّ ظِلَّ الْأَحْتِلَالِ، وَقَهْرَهُ
يَنَآى بِأَعْلَى الْأَمْنِيَّاتِ وَيَبْعُدُ

تَصْحَحُوا تَنَامُوا عَلَى خَطَايَا أَجْنَادِهِ
مَحْمُومَةٌ تُشْقِي الْحَيَاةَ وَتُفْسِدُ

الْأَحْتِلَالُ بِقَهْرِهِ، وَيُظْلِمُهُ
عَاتٍ يَدْمُرُ فِي الْبِلَادِ يُعْرِيدُ

(٦)

غَالٍ عَلَيْهَا ابْنُهَا، وَنَجِيُّهَا
يَمُضِي عَلَى الدَّرْبِ الْمَخُوفِ، وَيُوعِدُ

غَالٍ عَلَيْهَا، أَنْ يَهْدِمَ بَيْتُئِيسَهُ
وَيَدْمُرَ الْعُشُّ الَّذِي قَدْ شَيَّيْدُوا

لَكُنْمَا الْأَعْلَى عَلَيْهَا أَرْضُئُهُ،
وَتَرَابُهُ، وَتَرَائُهُ، وَالْمَخْضِيْدُ

لَكُنْمَا الْأَعْلَى بِلَادُ تَفْتَدِي
وَتَحْرُرُ يُرْجَى، وَفَجَرُ يُولَدُ

كَانَتْ هَدِيَّتُهَا إِلَيْهِ قَبْلَهُ
فَوْقَ الْجَبِينِ، وَدَمْعَةٌ تَتَجَمَّدُ

قَالَتْ : عَلَى اسْمِ اللَّهِ خَطُوكَ فَانْطَلِقْ

تُرعى بعين الله أنى تُوجدُ

كَبُرَ قَلَّتْ كَبِيرِ فى أوطاننا
رجعُ، كزلال، يَمُورُ ويُرعدُ

(٧)

هو فى طريق القدس، . . . وهى عروسه
عندَ «النُصيرات» المحاصرِ ترقُدُ

ما زالَ فى أحشائها من نبضه
أملٌ، من الحزنِ الكبيرِ سيُولدُ

ماذا تُرى قالت له، لما مضى
وبأى قلبٍ ودعتُ تَجَلَدُ

هيِ مِثْلُ، كُلِّ الباسلاتِ نسائنا
يَعرفن أن طريقنا لا تُوصدُ

يَعْرِقْنَ أَنْ الْمَوْتَ مِنْ غَايَاتِنَا
نَرْضَى بِلَوْعَتِهِ، وَلَا نُسْتَعْبِدُ

هِيَ قَدْرَاتُهُ أَمَامَهَا، وَجُنُودُهُمْ
يَتَكَاثِرُونَ عَلَيْهِ، وَهُوَ مُقَيَّدُ

ضَرْبُوه ظُلْمًا بِالْعِصَى وَكَسَّرُوا
أَضْلَاعَ إِخْوَتِهِ وَلَمْ يَتَرَدَّدُوا

لَمْ يَرْحَمُوا الشَّيْخَ الْمُسَنَّ أَمَامَهُ
دَاسُوهُ، وَاجْتَرَأُوا عَلَيْهِ تَعَمَّدُوا

دَاسُوا كِرَامَتَهُ، أَهَانُوا أَهْلَهُ،
وَأَمَامَ عَيْنِيهِ اسْتَبَاحُوا وَاعْتَدُوا

تَدْرِي بِأَنَّ الْعَيْشَ دُونَ كِرَامَةِ
لَا يَرْضِيهِ حَبِيبُهَا الْمُتَمَرِّدُ

هِيَ إِذْ تُودَعُهُ، وَحَشْشَرَجَةُ الْأَسَى

فِي صَدْرِهَا، مِنْ لَوْعَةٍ تَتَرَدَّدُ

تَرْنُو إِلَيْهِ، وَفِي لَهَيْبِ عِيُونِهَا
شَيْءٌ تُكْتَمُّهُ، فَلَا يَتَحَدَّدُ

شَيْءٌ كَمَا الدَّمْعُ الَّذِي مِنْ رُوحِهَا
مِنْ قَلْبِهَا مِنْ عُمْقِهَا يَتَفَصَّدُ

بِرُكَاثِهَا يَغْلَى، وَأَشْيَاءُ تُرَى
مَتَلَحِّقَاتٍ مَسْرَعَاتٍ تُورَدُ

صُورٌ عَنِ الزَّوْجِ الْحَبِيبِ الْمُرْتَجَى
يَمُضِي كَمَا الطَّيْفُ الْغَرِيبِ، وَيَبْعَدُ

نَهْرُ الْحَنَانِ، حَبِيبُهَا، وَنَجْيُهَا
وَأَبُو جَنِينٍ فِي الْحَشَا يَتَهَدَّدُ

وَتَلْفُ الشَّالِ الْمُطَهَّرِ رَأْسَهُ،
وَتَضُمَّهُ، عِنْدَ الْوَدَاعِ، تَزْغَرْدُ

تَدْرِى بِأَنَّ صَفِيرَهُ مِنْ غَيْرِهِ
سَيَظِلُّ يَسْأَلُ مُوجِعًا، وَيُرَدِّدُ

سَيَظِلُّ، يَسْأَلُ، عَنْ أَبِيهِ تَلْهِفًا
وَيَظِلُّ يَحْلُمُ بِاللِقَاءِ، وَيُوعَدُ

سَتَقُولُ يَا وَلَدِي أَبُوكَ قَدْ افْتَدَى
وَطَنًا تَنَافَسَهُ الذُّنُوبُ الشُّرُودُ

مِنْ أَجْلِ أَنْ تَحْيَا كَرِيمًا شَامِخًا
وَمَعَزْزًا، غَابَ الْحَبِيبُ السَّيِّدُ

غَابَ الَّذِي قَدْ كُنْتَ مِنْ أَحْلَامِهِ
الْأَحْلَى، وَإِسْمُكَ، بِاسْمِهِ سَيُخْلَدُ

طَلَبَ الشَّهَادَةَ، وَهِيَ أَغْلَى غَايَةٍ
لأَحِبَّةٍ، عَشَقُوا الْمَوَاطِنَ وَافْتَدَوْا

فَارْفَعْ جَبِينَكَ عَالِيًا، وَمُفَاخِرًا

بَاب، عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ سَيَخْلُدُ

(٩)

نَسْرٌ غُسْدًا فِي الْجَنَاحِ مَسَافِرُ
بَيْنَ النَّجُومِ جَنَاحُهُ الْمُتَوَقِّدُ

يُغْلُو وَيَهْبِطُ، لَا يَكْفُ مَسَارُهُ
وَيُظِلُّ أَشْرَعَةً تَمُوجُ وَتُفْرَدُ

وَأَمَامَهُ، مِنْ خَلْفِهِ، مِنْ تَحْتِهِ
مِنْ فَوْقِهِ، رَشَقُ السَّهَامِ يُسَدِّدُ

وَيُظِلُّ مِنْ دَمِيهِ، يُحْنِي تُرْبَةً
سَمَرَاءَ ضَمَّخَهَا اللَّظَى الْمَتُورِدُ

(١٠)

هَلْ لِلنَّوَارِسِ، أَنْ تَحُطُّ رِحَالُهَا
مِنْ بَعْدِ رِحْلَتِهَا الطَّوِيلَةِ تَرْقُدُ؟

هَلْ شَاطِئُ الْأَحْلَامِ مَازَالَتْ بِهِ

مِنْهُ، إِلَيْهِ لَفْتَنَةٌ وَتَوَدُّدٌ

مَاذَا أَثْرَخِي الدَّالِيَّاتُ قُطُوفَهَا،
وَجَدَائِلُ الصَّفْصَافِ هَلْ تَتَمَسَّدُ

وَهَلِ الشَّذَى الْهَفْهَافُ مِنْ لَيْمُونِهَا
مَا زَالَ يَنْفَحُ بِالْأَرِيحِ، وَيَرْفِدُ

مَا لِلنَّوَارِسِ كُلِّمَا شَامَتْ عَلَى
بُعْدِ مَحْطُ رَجَائِهَا تُسْتَبْعَدُ

هَذِي طَرِيقُ الْقُدْسِ لَيْسَ يَرُودُهَا
إِلَّا الْأَلَى حَمَلُوا اللَّوَاءَ وَوَحَّدُوا

إِلَّا الْأَلَى حَفِظُوا عَهْدَ بَقَائِهَا
وَنَقَائِهَا، وَبِهَائِهَا، وَتَجَرَّدُوا

(١١)

هَذِي طَرِيقُ الْقُدْسِ، مِنْ «عُمُرٍ» إِلَى
أَبْنَائِنَا تَسْمُو بِهِمْ، وَتُمَجِّدُ

مَنْ بِالدماءِ الغالياتِ تَفَجَّرَتْ
مِنْهُمْ يُخَضِّبُ ثُرْبُهَا، وَيُعَمِّدُ

الْقُدْسُ عاصِمةُ لَنَا، وَلشَّعْبِنَا
جَيْلٌ إِلَى جَيْلٍ تَدُومُ وَتَخْلُدُ

أَعِداؤُنَا، مَنْ هَدَّمُوا أَيْمَانَنَا
ظُلُمًا، وَمَنْ جَارُوا عَلَيْهَا وَاعْتَدُوا

حَلَمُوا بِهَا، نَدْرِي، وَمِنْ أَحْلَامِنَا
أَلَّا يُقِيمُوا عِنْدَهَا، أَنْ يُطْرَدُوا

فَلَنَّا مِنَ الْمَاضِي، وَمِنْ آيَاتِهِ
عِبْرًا بوقفاتِ الجهادِ تُؤَيِّدُ

هَاتُوا الصَّلِيبِينَ، هَاتُوا بَعْدَهُمْ
جَيْشَ التَّنَارِ، وَجَمْعُوهُ، وَاحْشُدُوا

لِنُعِيدَ تَارِيخًا، تَلَا حَرْفُهُ

بالنَّصْرِ ، يَطْرُدُ حَشْدَكُمْ وَيُبَدِّدُ

إِنَّا عَلَى مِيعَادِنَا ، فَتَرَقَّبُوا
فِي كُلِّ فَجْرِ ثَوْرَةٍ تَتَوَعَّدُ

هِيَ ثَوْرَةُ الْفَقْرَاءِ يَمْضِي خَطُوهَا
لَا خَائِفٌ فِيهَا وَلَا مُتَرَدِّدٌ

هِيَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ، مِنْ آيَاتِهِ
تُملَى عَلَى جَيْلِ الْفِدَاءِ وَتُسْرَدُ

إِنَّ الْجِهَادَ عَقِيدَةٌ فِي شَرْعِنَا
وَهُوَ اللَّوَاءُ الْوَاحِدُ الْمُتَوَحِّدُ

عَيْنٌ عَلَى الْقَدْسِ الشَّرِيفِ ، وَبَيْتِهِ
وَبِمَكَّةَ الْبَيْضَاءِ ، عَيْنٌ تَرصُدُ

وَعَلَى شُطُوطِ الْأَطْلَسِ خِيُولُهُ
وَجُنُودُ «عُقْبَةَ» ، وَالْجُيُوشُ الْحَشْدُ

حَمَلَ الرُّسَالَةَ لَمْ يَخُنْ أَهْدَافَهَا
طِفْلٌ بَغْزَةَ يَافِعٍ مُتَمَرِّدٌ

يَرْمِي حِجَارَتَهُ بِوَجْهِهِ عِدَاتِهِ
وَيُصَوِّلُ فِي سَاحَاتِهِ، وَيُصَعِّدُ

وَتَدُورُ فِي الْأَفْقِ الْبَعِيدِ تَطْلُعًا
عَيْنَانِ شَاقَّهِمَا الْحَنِينُ الْمُسْعَدُ

إِنَّا بَرَّغَمَ جُنُودَهُمْ، وَعَسْتَادَهُمْ
لَا نَنْشَى عَنْ عَزَمِنَا، لَا نَقْصُدُ

لَسْنَا نَخَافُهُمْ وَبَرَّغَمَ رِصَاصِهِمْ
هَذَا الَّذِي مَطَرًا يَزِيخُ وَيَرْفِدُ

لَسْنَا نَخَافُهُمْ، فَإِنْ حِجَارَةً
مِنَّا تَوَاجَهَ حَشْدَهُمْ تَتَرَصَّدُ

حَجَرٌ إِلَى حَجَرٍ، وَيَهْدُرُ عَارِمٌ

من مسوجنا، يعلو الدروب ويُزِيدُ

(١٣)

قالوا بأننا الأغبياء لأننا
ما زالت الأوطان فينا تُوعِدُ

ولأننا بُثِّرَ ابهها، وحجَّارها
وقضائها، وسمائها نتعبدُ

ولأننا ما رملت من أرضها
إلا وفي أحداقنا تتعمدُ

ولأن من «رفع» إلى «صفد» لنا
فيها وقوف خالد، وتوجدُ

ولأن «حيفا» لم تنزل ميناها
ولأن كرمها بنا يتورَّدُ

ولأن «يافا» في عيون صغارنا

لَمَّا تَزَلْ رَفْرَاقَةٌ تَهْجَدُ

ولأن «رَمَلَتْنَا» هناك و«أَلَدْنَا»
نيرانُ أشواقٍ بنا تَتَوَقَّدُ

ولأننا... ولأننا... ولأننا
ويطولُ ما يُحكى، وما يُتردَّدُ

قُلْنَا لَهُمْ إِنْ كُنَّا نَحِبُّ بِلَادِنَا
هَذَا غِبَاءٌ، فَالْغِبَاءُ مُخَلَّدٌ

(١٤)

لا سَلَمَ والأَجْنَادُ فَرَّوْكَ رءوسنا
أَكْعَابُهُمْ، وَحُقُونَا تَتَبَدَّدُ

لا سَلَمَ إِنْ السَّلَمُ يُشْرِقُ نُورُهَا
يَوْمَ انْزِيَا حِ الْمَعْتَدِينَ وَتُقْصَدُ

إِنْ السَّلَامُ هُوَ الْعَدَالَةُ مَا سَوَى

هذا سلامٌ يُفْتَدَى ويؤيدُ

إن السلامُ بأن تكونَ حقوقنا
محفوظة لا تستباح وتؤادُ

فهل العِدالة أن نطاطىءَ رأسنا
للغاصبين، ونُسْتَبى ونُقَيِّدُ؟

وهل العِدالة أن يموتَ صغارنا
جوعاً، ويطوينا الظلامَ الأسودُ؟

(١٧)

وقَفَ الفَتى، والقدسُ ملء عيونه
تبدو القبابُ مشوقةً والمسجدُ

«اللهُ أكبرُ» ثم أتبعها الفتى
بالانتقامِ مزلزلاً يتوقدُ

سَلِمْتُ يَدٌ عَرَفْتُ طَرِيقَ مَسَارِهَا
وَتَحَكَّمْتُ فِيهِ فَلَانَ الْمُقْوَدُ

مِنْ خَالِقٍ، أَلْقَى بِهِمْ لِحَاضِيَنَّهُمْ
لِلْمَوْتِ يَطْوِي جَمْعَهُمْ، وَيُبَدِّدُ

مُوتُوا كَمَا تَبْفُونُ أَنْتُمْ مَوْتَنَا
وَتَجَرَّعُوا كَأْسَ الْمَنِيَةِ وَاشْهَدُوا

فَمِنْ الْخِيَامِ مِنَ الْكَهْفِ جُمُوعُنَا
تَأْتِي كَمَا الْمَوْجِ الْعَصُوفِ وَتَنْهَدُ

حَجَرٌ إِلَى حَجَرٍ، وَتَمْضِي ثَوْرَةٌ
شَعْوَاءُ عَارِمَةً تَضِجُ وَتُرْعِدُ

(١٨)

أَقْبَلْتُ فِي الْأَقْمَارِ أَرُوعَ مَشْهَدٍ
اللَّهُ أَكْبَرُ جَلَّ ذَاكَ الْمَشْهَدُ

النَّارُ تَأْكُلُهُمْ، وَتَذُرُوا جَمْعَهُمْ
وَصُورَ أَخِيهِمْ يَعْلُو، وَأَنْتَ مُمَدِّدٌ

عَيْنَانِ مَطْبَقَتَانِ، يَالَيْثَ الشَّرَى
وَهَدَوُءِ إِنْسَانٍ، وَقَلْبُ مُجْهَدٌ

وَجْهٌ كَمَا بَدَرَ السَّمَاءِ مُجَلَّلٌ
بِالْكِبَرِيَاءِ مُنَوَّرٌ مُتَوَرِّدٌ

غَضَّتْ جِبَالُ الْقُدْسِ عِنْدَكَ طَرْفَهَا
وَحَنَّتْ عَلَيْكَ مَشُوقَةٌ تَتَوَدَّدُ

شَرَّفَتْهَا، وَنَفَخَتْ فِيهَا رُوحَهَا
وَبَعَثَتْهَا تَسْمُو شُمُوحًا تَصْمِدُ

الْإِنْتِفَاضَةَ مِنْذُ شَبٍّ لَهْيَبُهَا
هِيَ هَاتِ تَهْدَأُ نَارُهَا أَوْ تُخْصِمِدُ

عيني عليك، حبيب قلبي من هنا
أرني إليك أنا الطريد المبعود

وأراك حوْلَكَ عُصْبَةً مَجْنُونَةً
شوهاء باللائم المدمر تُحْشِدُ

هم يسألونك . . فيم أنت فعلتها؟
عجبا . . أما علموا لماذا تحقد؟

أيقنّون صغارنا، ونساءنا
ونظّل كالمتى، نباح، ونحصد؟

هم يسألونك من رفاقك؟ من ترى
خطوا طريقك؟ أحكموه، وحددوا؟

ومن الألى انتزعوا سهام عذابهم؟
واليهم وردوا السهام وسددوا

هو فعلهم يرتد مشئو ما لهم،
وبمثل ما كالوا نكيل وتورد

هم يسألونك: ما انتماؤك؟ ويحسهم
جاءوا فهل هذا سؤال يورد

الانتماء لكل حبة رملة
بالدم خضبها الشباب الأمجد

«شعبي هو التنظيم» قلت مجلجلاً
فيه تجمع للجهاد، ونحشد

نظمت منذ ولدت بين صفوفه
والثار تنظيمي الذي لا يجحد

ما في فلسطين التي أنتم بها
إلا الذي من أجلها يتجدد

فلنا نقاء سمائها، وفضائها

والماء، والتُّرْبُ الَّذِي يَتَوَقَّدُ

ولنا ما آذَنُهَا التِّي يعلو إلى
بابِ السَّمَاءِ هديرُها يترددُ

ولنا كنائسُها، ودورُ عبادة
اللهُ فيها بِالْحَبَّةِ يُغَبَّدُ

فلِذَا صَلَّيْتُ أَمَامَكُمْ، وَتَجَلَّدْتُ
رُوحِي تُنْهَنُّ فِي الْعَذَابِ وَتُجَلَّدُ

فلأننى أدري بأنَّ غُرُورَكُمْ
هَذَا، سَيَقْهَرُهُ الصَّمُودُ وَيُدْحَضُ

ولأننى بينى وبينَ أحببتي
عهدُ الوفاءِ مُخَلَّدٌ، ومُوطَّدٌ

ولأننى بالموتِ أنشُدُ غَايَةَ
تَسْمُوعِ الْعَيْشِ الذَّلِيلِ، وَتَخْلُدُ

يا ابنَ المعسكر إنَّ في أعناقنا
دَيْنٌ، وإن طال المدى سَيُسَدُّ

أيقظتَ فينا همَّةً مخبوءةً
ورددتَها أملاً جميلاً يُولدُ

قُلْتَ الَّذِي قَدْ قُلْتَ لحظة وثبة
جُنُ العَدُوِّ لها، وَمَنْ قَدْ هُوِّدُوا

نُصِرَ أَوْ هُمُ زَاغَتْ عُيُونُ بَصِيرَةٍ
مِنْهُمْ، وَطَاشَ صَوَابُهُمْ، وَتَجَمَّدُوا

فَرَدَّ بِجَيْشٍ، بِالسَّارِيا كُلِّهَا
بِجَمِيعِ مَا حَشَدُوا وَمَا قَدْ جَنَّدُوا

بِالطَّائِرَاتِ الهَابِطَاتِ مَذَلَّةً
تَهْوِي إِلَيْكَ كَسِيرَةٍ تَسْتَنْجِدُ

بمجنزرات، زأحفات مثلما
الأفيال ترجُمها الحجارُ، فتَسْجُدُ

قُلْتَ الَّذِي قُلْ قُلْتَ إِنَّ رَسالةً
أرسلتها تُعَيِّي البيسانَ فَيَجْمَدُ

(٢٢)

يا فخر أمتنا، ورمز خلودها
يا أيُّها البطلُ العظيمُ السَّيِّدُ

الشُّعْرُ يسمو بالجهادِ ويعتلى
هَامَ النُّجُومِ قَصِيدُهُ المتجددُ

الشُّعْرُ لولا أنتَ جَفَّ مَعِينُهُ
وتبعثرت أبياته تنبهدُ

الشُّعْرُ زكزلةُ النفوسِ بصدقهِ
وعطائه تسمو النفوسُ وتُحْمدُ

الشَّعْرَ لَيْسَ تَرَا جَعًا، وَتَخْلُقَا
وَتَرْدَدَا عَمَّا نَرِيدُ، وَنُنْشِدُ

الشَّعْرُ غَايَتُهُ التَّحَرُّرُ وَالْعُلَا
وَسَبِيلُهُ النَّهْجُ السَّوِيُّ الْأَوْحَدُ

عَابُوا عَلَيْنَا أَنَّ نَبْرَةَ شِعْرِنَا
تَعْلُو وَأَنْ قَصِيدَتَنَا يَتَوَقَّدُ

وَبَأْنُنَا مِثْلُ الرِّصَاصِ، كَلَامُنَا
يَأْتِي إِلَى صَدْرِ الْعَسَدِ يُسَدِّدُ

عَابُوا عَلَيْنَا أَنَّ لَمَّا نَزَلُ
نَشْدُوا لَأَيَّامِ الْجَهَادِ، وَنُنْشِدُ

مَاذَا نُسَمِّيهِهَا فِلَسْطِينَا إِذَا
لَمْ تَأْتِ شِعْرًا رَائِعًا يَتَخَلَّدُ

فَلَنَا الشَّجَاعَةُ فِي مُوَاجَهَةِ الْأَلَى

جاروا على قُدسِ العُروبةِ واعتدوا

إِنَّا نُسَمِّي القاتِلين بِأَسْمِهِمْ
وَنُحَدِّدُ الهَدَفَ الشَّرِيفَ وَتَرَصُّدُ

الشُّعْرُ بِأَسْمِكَ، يَا حَبِيبَ قُلُوبِنَا
يَبْقَى لِأَجْسِيَّالٍ تَجِيءُ وَتَوَلِّدُ

يَبْقَى لَهُمْ، لِيَسْطِءَ دَرْبَ وَجُودِهِمْ
وَيَكُونُ نَبْرَاسًا، يُنَارُ بِهِ الْغَدُ



تونس : ١٩٨٨



الشيخ أحمد ياسين



نكون..أو لا نكون

[وجهت زوجة الشيخ أحمد ياسين نداء للإنسانية من أجل
الشيخ المقعد المريض في سجون الاحتلال الإسرائيلي]

(١)

وَأَتَانَا، نِدَاؤُهَا وَالْحَنِينُ	حَمَلَ الْبَرْقُ، صَوْتَهَا . . وَالْأَنِينُ
زَوْجُهَا الطَّيِّبُ الْكَرِيمُ الْحَنُونُ	شَيْخُهَا الْبَاسِلُ الْأَبَى الْمُرَجَّى
مَرِيضٌ مُعَذَّبٌ، مَطْعُونُ	فِي دُجَى السَّجْنِ فِي شِقَاءِ لِيَالِهِ
لَا طَبِيبٌ، لَا زَائِرٌ، لَا مُعِينُ	شَيْخُهَا الْمُقْعَدُ الْعَظِيمُ يُقَاسَى
فَهُوَ بِالْأَرْضِ مُغْرَمٌ مَفْتُونُ	قَدْ أَحَبَّ الْبِلَادَ - أَرْضًا سَمَاءَ

(٢)

حَمَلَتْهَا قُلُوبُنَا، وَالْعُيُونُ	قَالَ: مَا رَمَلَةٌ نَفَرْتُ فِيهَا
وَعَذَابٌ، وَخُرْقَةٌ وَحَنِينُ	هِيَ مِنَّا لَنَا اشْتِيَاقٌ وَوَجْدٌ
وَعَهْدٌ عَلَى الْوَفَاءِ، وَدِينُ	هِيَ فِي عُرفْنَا عَقِيدَةُ إِيْمَانٍ
لِصَدَاقِهِ، مُزَلْزَلٌ، وَمَكِينُ	قَالَ مَا قَالَا، وَالْجَمَاهِيرُ رَجَعُ
صَبُورٌ عَلَى الْجِهَادِ أَمِينُ	مُقْعَدٌ أَعْجَزَ الْكَتَائِبَ وَالْجَيْشَ

(٣)

سَجَنُوهُ، وما دَرُوا أَيُّ شَيْخٍ هو هذا الْمُقَيَّدُ الْمَسْجُونُ
سَجَنُوهُ، وهو الطَّلِيقُ بِرُوحٍ تَتَحَدَى . . فَمَنْ تُرَاهِ السَّجِينُ؟
سَجَنُوهُ، ظَنَّا، بِأَنَّ لَهُيبًا من لَظَاهُ، يَذَلُّ يَوْمًا يَهُسُونُ
سَجَنُوهُ، وَالسَّجَنُ يَسْمُو شَمُوخًا بِالْبُطُولَاتِ يَزْدَهَى وَيَزِينُ

(٤)

الْجِيوشُ الْمُدْرَعَاتُ إِلَيْهِ زاحفاتٌ تَذَلُّ خِزْيًا تَدِينُ
ذَنْبُهُ أَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ بَاقٍ لا يَبَالِي بِعَسْفِهِمْ لَا يَلِينُ
ذَنْبُهُ أَنَّهُ يَجَاهِرُ بِالرَّأْيِ وَيُعْلِي لَوَاءَهُ، وَيَصُورُونُ
ذَنْبُهُ أَنَّهُ يَقُولُ فِلَسْطِينُ لَنَا نَحْنُ شَعْبُهَا الْمَأْمُونُ
نَحْنُ لَا غَيْرُنَا، حِمَاةُ حِمَاها نَحْنُ دُرْعُ لَهَا، وَنَحْنُ الْحُصُونُ
قَالَ . . مَا قَالَ، صَامِدًا لَا يَبَالِي بِشَوَاطِ الْعَذَابِ لَا يَسْتَكِينُ
عَذْبُوهُ، فَمَا تَرَ أَخِي ارْتِدَادًا لَا، وَلَا هَزَّةَ الْعَذَابِ الْمُهِينُ
هُوَ يَدْرِي بِأَنَّ عُمَرَ أَعَادِيهِ قَصِيرٌ، وَعَهْدُهُمْ مَطْعُونُ

(٥)

سَأَلُوهُ: لِمَنْ فِلَسْطِينُ هَذِي وَلِمَنْ يَهْدُرُ اللَّظَى الْمَجْنُونُ؟
اسْأَلُوا حَوْلَكُمْ، تُجِيبُ لِيَالٍ هِيَ مِنَّا لَنَا تُجِيبُ السَّنُونُ
اسْأَلُوا حَوْلَكُمْ، تُجِيبُ الْعَصَافِيرُ يُجِيبُ . . الليمونُ، وَالزَّيْتُونُ
اسْأَلُوا حَوْلَكُمْ، تُجِيبُ جِبَالُ وَسَهُولُ، وَأَرْبَعُ، وَخُزُونُ

اسألوا حولكم، تجيبُ روايى
 إن هذا الترابَ غال علينا
 هذه دورنا شواخصُ تحكى
 القدس تحكى أخبارها حطينُ
 وعزيزُ، مُقدَّسٌ وثمانُ
 فاسمعوا صوتها يُجيبُ اليقينُ

(٧)

الجهادُ الذى رفعنا لواءهُ
 لا انثناءً، ولا ارتداداً ولكنُ
 بالدِّماءِ، الدِّماءِ نروى ثراها
 إن منْ علَّم الجهادَ صغيراً
 حاوروه ليلاً، نهارةً وخابوا
 هو منْ أجلها عزيزُ مكينُ
 ثورةً غيَّثها سكوبُ هتونُ
 لا جبانُ فى صفِّنا لا خثونُ
 لا يُبالى متى تكونُ المنونُ
 فهو كالسَّيفِ جارحٌ لا يلينُ

(٨)

مُقعَّدُ صوتهُ، يُجلجلُ فى السَّجنِ
 هو أقوى من السَّلاسلِ والسَّجانِ
 آيةُ النَّصرِ فى محياه تعلو
 هو يدرى، أن الجماهيرَ زحفُ
 فتَهْتَزُّ منْ صَداهُ السَّجونُ
 أقوى فُؤادهُ، والجَبِينُ
 وهى فجرُ، من الجهادِ مُبينُ
 لا انحناءُ، لا ردةُ، لا سُكونُ

(٩)

جاءنا الصَّوتُ، من بعيدٍ إلينا
 أتنادى؟ . . ومن تنادى؟ زماناً
 أتنادى؟ ومن تنادى؟ رجلاً
 أتنادى السيوفُ؟ ما منْ سيوفٍ
 صوتها، وانفعالها المَحزونُ
 كلُّ ما فيه، سيِّئٌ ملعونُ
 فى التفاهاتِ عمرُهم معجونُ
 بعدُ قدْ خُبَّتْ، وغِيلَ العَرِينُ

تَتَوَالِي الْأَخْبَارُ، تَتُرَى إِلَيْنَا
 أَهْلُنَا الصَّامِدُونَ، مَا مِنْ مُجِيرٍ
 شُغِلُوا عَنْهُمْ، فَلَيْسَ عَجِيبًا
 أَنْ يَنَامُوا عَلَى جِرَاحِ الْمَاسِي
 خَيْمَ الصَّمْتِ، فَالْدِّيَارُ خِوَاءُ
 يَتَسَلُونَ بِاجْتِرَارِ الْأَمَانِي
 فَالْتَحَفَ بِالصُّمُودِ عِزًّا، وَصَبْرًا
 لَا تُبَالِي مَهْمَا تَجُورُ الْعَوَادِي
 الْجِهَادُ.. الْجِهَادُ، مَا مِنْ سَبِيلٍ
 وَالْجِهَادُ، وَالْمُؤْزَرُ الْمِيْمُونُ
 لِنِدَائِهِمْ، وَلَا صَبَّاحُ مُبِينُ
 أَنْ يُشِيحُوا وَجُوهَهُمْ أَنْ يَهُونُوا
 لَا التَّفَاتُ، لَا ثَوْرَةٌ، لَا حَنِينُ
 دَبَّ فِيهَا الْخَرَابُ، وَالطَّاعُونَ
 وَالْأَمَانِي بِلُغْغِهِنَّ ضَنِينُ
 يَا كَسْرِيمَ الْجَنَابِ، يَا «يَاسِينَ»
 أَوْ يَشَاءُ الْمَرَاوِغُ الْمَجْنُونُ
 غَيْرَ هَذَا، نَكُونُ.. أَوْ لَا نَكُونُ



تونس: ١٩٨٩



منزل الدهشان



منذر الدهشان

[عن اللّٰثي منذر الدهشان الذي
بواجسة في سجون العدو،
حكمها بثلاثة مؤبدات]

(١)

- : من أين «منذر الدهشان»

: من «حارة الزيتون» من مشارف «العمدان»

- : من منكمو توقفت عيناه،

تقرأ الأسماء،

توقظ التاريخ

ترجع الزمان

(٢)

فهذه الحارة،

ذات يوم،

حاصرت دروبها الغربان

جحافل التّار، أقبلت مسعورة،

يقودها الشيطان،

تحمّل أسوأ ما سطرّ التاريخ،

في صفحاته، وسجلّ الزمان

من بعد ما قد دمّرت بغداد

أَحْرَقَتْ تُرَائِهَا، واجتاحتُ البنيانُ
على مشارفِ المَدِينَةِ، العزيزة المكانُ
تَجَمَّعَتْ حشودهم، وأطلقَ الإنذارَ
«كتبو غايتهم» وكرَّروا الإعلانُ
«إستسلموا، وسلِّموا، أو نُعْمَلُ
السيفَ بكم، ونُشْعَلُ النيرانُ»
و«غزة» المَدِينَةُ الشَّامِخَةُ العرينِ
والجامحةُ العنانُ . .

صامدةٌ في وجههم،
تُعلنُ رفضَها الجموحَ
تُعلنُ العصيانَ

(٣)

وهاهنا، في ساحةِ «الْعُمدانِ»
تَجَمَّعَ الفُرسانُ
من «مصر» من محروسةِ الرَّحْمَنِ
توافدوا، يكبرون، يصدحُ الأذانُ
وكانَ، ما قد كانُ
الفارسُ الشَّجاعُ «بيبرسُ»
طارَدَ الغزاةَ رَدَّهمُ «لَعَيْنِ جالوتَ»

«إسلاماه» تخرقُ الأجواءَ
تبلغُ السماءَ،
توقظُ الموتى، وتُشعلُ الذُّرى
وتلهبُ الكتبانَ
و«قطزُ» والسيفُ اليمانيُّ،
يدورُ في الشمال، واليمين
لا يكفُ، يحصدُ الرؤوسَ
يبدعُ الطعانَ .

(٤)

وفي الصفوف كانت «غزة» الرجال
يومها حاضرة، بكلِّ كبرها الطالع
من ترابها، والعُنْفوانُ
عن أمة الإسلام،
كان ذاك اليومُ
عن كرامة الإنسان
بوقفة الرجال، كان النصرُ ساطعاً
يشرقُ مثلَ، الشمسِ،
يدحرُ الدُّجى،
ويقهرُ السلطانُ

(٥)

هذي هي العمدانُ

وهذه «غزة» يا «منذر»
منذُ أوَّلِ الزَّمانِ،
حتى آخرِ الزَّمانِ
القلعةُ التي على أبوابها
يَسْتَسْلِمُ الغزاةُ،
يرفعونَ الرُّايةَ البيضاءَ
يُهْزِمُ الطُّغْيَانُ . .

(٦)

«غزة» يا حبيها،
تحكى ليا ليها وتروى،
قصةَ الفتى الدهشانِ
أحبَّها، وذادَ عَنْ حَيَّاضِها،
قاتلَ، كانَ قدوةَ الفتیانِ

(٧)

يا «منذر الدهشان»
كَمْ مؤبَّدَ شأؤوهُ،
فى أحكامهم، فى شرعة البهتان؟
فى الزمنِ الردىِّ، وألمهانِ
يُحاكَمُ البرىُّ،
والمقاتلُ الجرىُّ،
يَحْكُمُ المدانُ

لأنه . . يا «منذر» الحبيب ،
فى زماننا المعوج ،
غُيّرتُ أعرافهُ ، وبُدِّلَتْ ،
وانقلبَ الميزانُ

(٨)

أُمِّكَ يَا حَبِيبَهَا ،
قَدْ زَغَرَدَتْ ، وَلَوَّحَتْ مِنْدِيلَهَا
مُخْتَالَةً ، يَقْطُرُ مِنْهُ الْحُبُّ وَالْحَنَانُ
يُعْطَرُ السَّمَاءَ ،
بِالْفِدَاءِ ،
عَالِيًا ، وَعَالِيًا يَرْتَفِعُ النَّيْشَانُ

(٩)

قَدْ زَغَرَدَتْ أُمُّكَ ،
لَمْ تَشُقْ قُوبَهَا فِى وَجْهِهِمْ ،
لَمْ تَدْمَعْ الْعَيْنَانِ
: - «إصمذ» تَقُولُهَا ،
يُرَدِّدُ الصَّدَى ،
الْفَوَارِسُ ، الْبَوَاسِلُ ، الشَّجَعَانُ
: - مَهْمَا دَجَى لَيْلُ الْأَسَى ،
وَاسُودَ ،
مَهْمَا اشْتَدَّتْ الْأَحْزَانُ

مهما القيودُ أحكمتُ وثاقها
واسودَّت الجُدُرَانُ
فَقَادِمٌ زَمَانُنَا الْآخِرُ،
قَادِمٌ مِنْ رَحِمِ الْأَزْمَانِ
يُبَشِّرُ التَّقَاةَ، والمرابطينَ
فِي خَنَادِقِ الصُّمُودِ
بِالسَّلَامِ وَالْأَمَانِ
بِسَاعَةِ آتِيَةٍ يُهْدِي فِيهَا السَّجَنُ،
مَهْمَا صَلَّيْتَ جُدْرَانَهُ،
وَيُسْحَقُ السَّجَانُ . .



القاهرة ١٩٩٧



سهیله آندراوس

اعتذار.. وانكسار

[إلى سهيلة اندرواس
في سجنها البعيد]

(١)

نَعْتَذِرُ، وَنَتَكَسَّرُ، وَنُخَذِلُ نَحْنُ الشُّعْرَاءُ
فِي زَمَنِ الرَّدَةِ .
غُيِّرَتِ الْكَلِمَاتُ، وَبُدِّلَتِ الْأَسْمَاءُ
لَنْ نَسْأَلَ بَعْدَ الْيَوْمِ
عَنْ «الْمَعْتَصِمِ» الْغَاضِبِ لِلشَّرَفِ الْعَرَبِيِّ
وَلَنْ نَتَحَدَّثَ عَنْ «أَسْمَاءٍ» أَوْ الْخُنْسَاءِ
أَصْبَحْنَا نَحْنُ هُنُودَ الْعَصْرِ الْحَمْرِ،
وَسَقَطَ مَتَاعُ الْأَجْرَاءِ .

(٢)

يَا قَمَرَ فَلَسْطِينَ الْغَارِقِ فِي الظُّلُمَاءِ،
يَا بُضْرَ الْحَرِيَّةِ يَا كَلِمَتَهَا،
يَا وَرْدَتَهَا الْحَمْرَاءُ
يَا «قُدْسُ» . . . يَا «يَافَا» ،

يا «حيفا» المقهورة، يا «عكا»
يا إسمَ فلسطين الضائع،
والمذبوح بسيفِ الأهواء،
يا صرخةَ كُلِّ الأسرى المنسيين،
وكلِّ السُّجناءِ،
يا بنتَ التيه، وبنتَ الغربة،
يا بنتَ البؤساءِ . .
من يسمعُ صوتك، هل يقدرُ أحدٌ،
أن يرفعَ إصبعَهُ في استحياءٍ . .

(٣)

في زَمَنِ الدَّجالينَ،
وزَمَنِ الثَّرثارينَ،
وزَمَنِ الرَّقَّعاءِ . .
لا يطلعُ فجرٌ،
لا يورقُ غُصنٌ،
لا تهدلُ ورَقاءُ . .
لا تَذرفُ عينٌ دَمعةَ حزنٍ،
لا تنبثُ شَفَّةٌ مِنْ وَجَعٍ،

أو من إعياء
النَّاسُ كَمَا الْحَيَّطَانِ
قُلُوبٌ جَامِدَةٌ صَمَاءُ،
لَا تَسْمَعُ صَرْخَةَ لَيْلِي
طِفْلَتِكَ،
تُنَادِيكَ صَبَاحَ مَسَاءٍ

(٤)

يَا غُصْنِ الزَّيْتُونِ الْمَكْسُورِ، عَلَى
مِثْدَنَةِ الْأَقْصَى، الْبَيْضَاءُ،
يَا نُوحَ شَوَاطِنَا التَّائِقَةِ إِلَيْكَ
وَيَا نَفْحَ رَوَابِنَا الْخَضِرَاءُ.
أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ،
وَأَشْهَدُ أَنَّكَ أَقْوَى مِنَّا
أَقْوَى مِنْ كُلِّ الْعُظَمَاءِ
وَكُلِّ الْكِبَرَاءِ،
أَقْوَى مِنْ كُلِّ الْكَذَّابِينَ،
الدَّجَالِينَ، وَكُلِّ الْفُصَحَاءِ

من يقدرُ منهمُ أن يغضبَ
أو يصرخَ أو يستاءَ

(٥)

أسألكِ العفو،
فنحنُ المقهورونَ من الأطلنطِ
وحتى الشَّطَّ العربي،
وحتى صنعاءُ
نتوسلُ منكِ العفو،
ونُقرِّوكِ سلامَ الضُّعفاءِ

(٦)

نعتذرُ إليك، ونعتذرُ لشاعركِ،
لليلي، ونقرُّ بأنَّنا سُخفاءٌ..
نعتذرُ إليك،
لأنَّا نحنُ خَرَسْنَا،
وجبُّنا وتَقَاعَسْنَا،

عن صرُخَتِكَ الخُرُساءُ . .
نعتذرُ لليلي ، تنمو كالصُّبَّارِ
وتنبتُ في وسطِ الصحراءِ . .
نعتذرُ لأحمدَ ،
نحنُ تَخْلِينَا عَنْكَ وعنهُ ،
وعن ليلاكِ ، وعن كُلِّ الشُّرفاءِ .



القاهرة : ١٩٩٦



الحبس الإداري

[.. ابتدع العدو الصهيوني أساليب شتى لتعذيب
شعبنا تحت الاحتلال منها الحبس الإداري .. صرخة
واحدة من مئات نساءنا الصابرات]

(١)

لَمَنْ أَشْكُو تُرى الحَبْسَ الإداري
بِلا ذَنْبٍ، بلا أي اعتِبارٍ
فَسِتَّةُ أَشْهُرٍ تَمْضِي لِتَأْتِي
على عَجَلٍ بتكرارِ القَرَارِ

(٢)

لَقَدْ ذَهَمَ الْجُنَاةُ، سُكُونَ بَيْتِي
وَهَزُّوا فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ دَارِي
وَمَارَحِمُوا، وَلَا رُقُوءَ الْعَجْزِي
وَلَا التَّفَتُّوَا، لِتَرْوِيعِ الصُّغَارِ
لِسَبَّاحِ مَرَّةٍ، يَأْتِي ظُلُومًا
قَرَارُهُمْو بَتَّجْدِيدِ الإِسَارِ

(٥)

أهَذَا الْعَدْلُ فِي زَمَنِ الثَّرَدِي
وَفِي زَمَنِ الْمَذَلَّةِ وَالصَّغَارِ؟
الْإِنْسَانُ عِنْدَهُمْ حَقٌّ
وَفِي وَطْنِي يُسَامُ بِالْأَخْتِ قَارِ؟
أَسْأَلُهُمْ تُرَى مَا ذَنْبُ زَوْجِي؟
وَفِي نِيَمٍ يَظَلُّ رَهْنَ الْإِنْتِظَارِ؟
وَأَسْأَلُ، لَا أَجَابُ.. بِأَيِّ ذَنْبٍ
تُرَى عَاوِدْتُمُو الْحَبْسِ الْإِدَارِي؟

(٤)

وَيَسْأَلُنِي، صِغَارِي كُلِّ يَوْمٍ
مَتَى يَأْتِي، وَأَعْجِزُ أَوْ أَدَارِي
وَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَحْسِرِي جَوَابًا
لِأَطْفَالِي، وَلَا يَجْدِي اعْتِذَارِي
أَقُولُ لَهُمْ، غَدَاةَ غَدٍ سَيَأْتِي..
وَلَا يَأْتِي، فَأَغْرَقُ فِي انْكَسَارِي

(٥)

أعيشُ توالي الأيامِ حـيـرى
مُضَيَّعةً، بليلى أونهاى
وأعجز أن أزعجَ عَنْ عيـونى
خـيـالاتِ الشَّقَاءِ والآنـهـيـارِ
أفـي الدُّنـيـا شـقـاءٌ مـثـلُ هـذا،
الذى أنا فـيـه من حُـزْنٍ ونـارِ

(٦)

صـغـاري كُـلِّـمـا زاروا أباهمُ
رَمُونِي فى مَنـاهاتِ القِفـارِ
أجـدُّفُ، لا أرى إلا سـرـابـا
يُراوِغُنِي، فـأغـرقُ فى الغُـبـارِ
والجـمُ لستُ أحـري من جـوابِ
لأسئلةِ الأعـزاءِ الصُّغـارِ

(٧)

لماذا...؟ فـيـمَ؟ لا أحـدٌ يـلـبـي

ندائي أو يردُّ على انهـياري
إنسانيَّةٌ هـذي لعمري
ملطخةٌ بعـارٍ، أي عـارٍ
بلا حُكْمٍ، ومَحْكَمَةٍ وعدلٍ
يظلُّ رفيق عمري في الإسـارِ
لمن أشكو، وماذا قد تَبَقَّى
لدى من الشكـاة والـانفـجارِ
أنا أمُّ، وكم أمٌ كَمِـثلي
ملووعةٌ من «الحبس الإداري»



القاهرة ١٩٩٧



سمر سامي العلمي



يا أنت يا سمر...

[إلى سمير سامي العلمي
في سجنها البريطاني الجديد]

(١)

ماذا أقولُ يا سَمَرُ . . .
وكلُّ شيءٍ ضاعَ منْ عِيُونِنَا انتَحَرَ
ما عَادَتِ الشَّمْسُ ، تُحَارِبُ الظُّلَامَ ،
وما عادَ القَمَرُ

(٢)

غزّةُ ، وطنُ الأهلِ ، ودارُهمْ ،
تسألُ عنكَ ، يسألُ الشَّجَرُ
ويسألُ الشَّاطِئُ ،
يسألُ الموجُ الذي ، على رماله انكسرُ
وتسألُ الدُّرُوبُ ، والأزقةُ التي
تملأها الحُفَرُ
وتسألُ العصافيرُ ، على جدائلِ الزيتونِ ،

والليمون، تسألُ الأَصَالُ والبُكَرُ

(٣)

تسألُ عَنْ صَبِيَّةٍ، وَاَعْدَةٍ،

غَابَتْ سَنِينًا،

غَابَ أَهْلُهَا فِي التَّيِّهِ،

فِي السَّفَرِ

تسألُ عَنْ أَسْرَتِكَ الَّتِي

مِنْ أَكْرَمِ الْأَسْرِ

تسألُ عَنْ سَامِي،

وَعَنْ زَهِيرٍ، عَنْ عَدْنَانَ،

تسألُ الزُّمْرَ

(٤)

غَزَّةُ يَا سَمْرُ

كَمْ شَمَّرَتْ سَاعِدَهَا،

كَمْ أَقْلَعَتْ فِي حَوْمَةِ الْخَطَرِ

غَزَّةُ يَا سَمْرُ . .

تَحْفَرُ اسْمُكَ الرَّائِعَ،

فَوْقَ قُبَّةِ الْجَامِعِ، فِي حَارَتِنَا،

وتنقشُ الذُّكْرُ
فهاشمُ، جدُّ النَّبِيِّ، جارُكمُ
وجارُ دارِكمُ، مازالَ ينتظرُ
عودتكمُ مبليينَ بالنَّدَى،
معطرينَ بالزَّهْرِ

(٥)

ماذا أقولُ يا سمرُ
قد ضاعَ مِنِّي القولُ،
شوَّشتُ في رأسِ الفِكرِ
فأنتِ في صُمودِ الأبي،
عبرةُ العبرِ
وأنتِ والأسرةُ في عيوننا
وفي قلوبنا، مدى العمرِ
يا إبنةَ الشعبِ الذي
ما ذلَّ مرةً، ولا اندَحَرَ
فالانتفاضةُ التي منَّ أجلها
آثرتِ موقفَ الصُّمودِ والخطرِ
تبقى أعزَّ ما أبدعَ شعبُنا

العظيمُ ما ابتكرُ
والشُّهداءُ في عليائهمُ
يُعرِّشونَ حولَ السَّجنِ،
يسألونكَ الصُّمودَ للقدَرِ

(٦)

شامخةٌ كما جبالُ القدسِ
والخليلِ، مثلما نابلسَ يا سمر
ثابتةٌ كما صُمودنا الأغرُ
تُعلِّمينَ القادمينَ من أجيالنا،
والنَّابِتينَ في مَسالكِ الشرِّ
بأنَّ لا شيءَ يُساوى
لحظةَ افتداءِ الأرضِ،
لحظةَ الطَّفَرِ

(٧)

أواهُ يا سمرُ
يا زهرةَ النَّارنجِ
يا سَوَسَنَةَ الوُديانِ
يا حبيبةَ السَّحرِ
يا قمرًا أطلَّ في سماءِ غزّةِ،

التي هناك تنتظرُ
تَجَمَّلِي بالصَّبْرِ، كَمْ شَعْبُكَ
في عذابه صَبِرُ
(٨)

ماذا أقولُ يا سمرًا!
ماذا أقول بعدُ،
قصرَ الكلامُ واعتذرُ



القاهرة: ١٢ يناير ١٩٩٦



رسالة مفتوحة

[إلى القضاة البريطانيين «باتريك جـار لاند» الذي أصدر حكمه على سمر العظمى وجواد البطمة بالسجن عشرين عاماً]

(١)

يا سيدى . . .
 بكيتُ، عندَ نطقِ الحكمِ،
 موجعاً، بكيتها العدالةُ
 بكيتها لأنها، قد طعنتُ،
 شعبي الحبيبَ،
 خيّتُ آمالهَ،

(٢)

أهذه هي العدالةُ . . ؟!
 ألا يزالُ بعدُ، من يقولُ:
 إن في بريطانيا،
 لها الجلالةُ . . !
 وهى التى، قد أصدرتُ،
 أحكامها،

وأملت الرسالة . .

وهي التي من أول القرن
نُجِّعُ الصَّابَ من كؤوسها،
إلى الثَّماله . .

(٣)

يا سيدي القاضي :

أقولها :

المجد للقانون،

أرفعُ رأسي عاليًا .

أهتفُ دومًا عاليًا،

المجد للقانون

لكنني ياسيدي أسأل،

علَّ يسمعُ المُحَلِّقُونَ

علَّ الَّذِينَ يَحْكُمُونَ

في لحظةٍ من الصَّفَاءِ يُنصفُونَ

أسألُ :

في أيِّ شرائعِ الدُّنيا،

يُسَلَبُ وطنٌ بأسره

وأهلُهُ إلى العراءِ يُطردون؟

فى أى شرع،
يأكلُ الأُغرابُ زادَهُم، وخيرَهُم،
وَهُمُ يجوعُونَ، ويمرضُونَ؟
فإنْ توجَّعُوا، أو صرَّخُوا،
أو حاولوا شيئًا يُحاكُمُونَ!!

(٤)

يا سيِّدى،
ماذا جنى جَوادُ؟
وما الذى جَنَّتْ سَمَرُ؟
عشرونَ عامًا،
كيفَ . . ؟؟
من أينَ انتزعتَ الحُكمَ؟
من دفاترِ لانتدابِ،
لَمَّا تَزَلْ تُكوى فلسطينُ،
بِنارِها، وتُؤَسَّرُ؟
منذُ ثَلَاثِ جَمْعُومِ،
وصاحِبِيهِ
والكوارثِ الأخرُ؟

مَنْذُ الثَّلَاثَاءِ الَّتِي ،
تَأْرَجَحْتُ بِهَا الرُّءُوسُ ،
وَالْأَرْوَاحُ ، وَالْفِكَرُ ؟
وَأَنْتَمُو ، أَمَامَنَا ، وَخَلْفَنَا ،
وَفَوْقَنَا ، تُحَاصِرُونَنَا بِالْمَوْتِ وَالْخَطَرِ
وَتَزْعُمُونَ أَنَّ الْعَدْلَ ،
مِنْ دِيَارِكُمْ إِلَى الدُّنْيَا انْتَشَرَ

(٥)

يَا سَيِّدِي الْقَاضِي . .
تُرَى سَأَلْتُ مَرَّةً ،
وَهَلْ تَسْأَلُ الْمُحْلِفُونَ ، وَالْحُجَّابُ
عَنْ دُورِنَا الَّتِي يَسْكُنُهَا الْأَغْرَابُ
وَعَنْ كُرُومِنَا الَّتِي ، يَدُورُ فِي أَنْحَائِهَا النَّهَابُ
هَلْ سَأَلُوا مَاذَا تُرَى قَدْ فَعَلْتُ
بِنَا بِرِيطَانِيَا . وَالْإِنْتِدَابُ
هَلْ حَاولُوا أَنْ يَفْتَحُوا الْكِتَابُ
أَنْ يَقْرَأُوا كَيْفَ أَتَوْا بِوَعْدِهِمْ
قَدَمَرُوا حَيَاتِنَا ، وَعَمَّمُوا الْخَرَابُ

(٦)

يا قاضى القضاة
أيها السيدُ
هل حاولتَ أن تسترجعَ
الأيامَ؟
أكانَ جدُّكَ الَّذى قَدْ حَطَّ،
فى ديارنا،
وأغرقَ البلادَ فى الظَّلامِ؟
أما شَعَرْتَ لَحْظَةً
بعقدةِ الذَّنْبِ؟
أما تذكرتَ للحظةٍ
حكايةَ للتَّاكَلاتِ والأيتامِ؟
أما رأيتَ طفلةً، كما الصبيةِ
التي حاکمتَ، لا دارٌ، ولا أهلٌ
ولا هويةً، ولا أحلامَ؟

(٧)

ماذا تقولُ . . أيها السيدُ
للصبيةِ التي قد واجهتكَ

تلعنُ الارهابَ والإجرامُ؟
صبيةٌ نقيّةٌ، كمثلِ ضوءِ الفجرِ
مثلما النّدى، ومثلما الغمامُ
بريئةٌ أدنتها،

وأنتَ تدري أنها
أصفى من الصفاءِ فى شموخها
أنقى من الإلهامِ . .

(٨)

ماذا تقولُ، ياترى لفارسٍ
ينهضُ مثلَ السيفِ
فى وجهِ الأذى، والاتهامِ؟
أما قرأت فى عينيه
دفقةَ الحبِّ، ونبضةَ الحنانِ،
روعةَ الوثامِ؟
أما تُحب مثلما أحبّ،
أن يعمَّ الخيرُ فى دياره،
وينشرَ السّلامَ؟

أَمَاتَ كُلُّ شَيْءٍ فِيكَ
مِثْلَمَا قَدْ مَاتَ عِنْدَ مَطْلَعِ
الْقَرْنِ الضَّمِيرُ فِي بِلَادِكَ وَنَامَ؟

(٩)

يَاسِيدِي الْقَاضِي . .
أَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تَعِيدَ
ذَلِكَ الْمَاضِي الْبَغِيضَ ،
تُوقِظُ الْأَلَامَ
أَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تَجُورَ فِي حُكْمِكَ
تَحْرِقُ الزَّيْتُونَ
تَقْتُلُ الْحَمَامَ

(١٠)

يَاسِيدِي الْقَاضِي :
صَرَخْتَ شَاعِرًا
صَرَخْتَ إِنْسَانًا
صَرَخْتَ لَاجِئًا مُشَرَّدًا
صَرَخْتَ وَاحِدًا مِنَ الْأَنَامِ

أعدتني في لحظة
من بعد ما لجأتُ للصمتِ
وآثرتُ السكوتَ
في زمان الانفصام
لأنبش الأوراقَ
من مرقدها
وأشرع الأقلامَ
عسى لعل صرختي إليك
توقظُ الكامنَ فيك
تبعثُ المبادئَ العظامَ
فتذكرُ الشعبَ الذي ظلمتموه
منذُ أن دخلتمو دياره
حكمتمو عليه بالإعدام.

(١١)

يا سيدي القاضي . .
رسالتى إليك
عبرَ الريحِ، عبرَ الموجِ .
عبرَ عالمِ الأوهامِ
تطيرُ من يدٍ إلى يدٍ

تَحُطُّ مِثْلَمَا حَمَامَةٌ، وَادِيَةٌ،
وَتَحْمِلُ السَّلَامَ
رِسَالَتِي مَفْتُوحَةٌ يَاسِيدِي
مَفْتُوحَةٌ الْجَرْحِ تَظَلُّ
هَكَذَا بِلَا التَّثَامِ
رِسَالَتِي تَصْرُخُ بِالسَّمَاءِ
بِالْجِبَالِ، بِالتَّلَالِ، بِالْأَكَامِ
تَبْحَثُ عَنْ لَحْظَةِ صَدَقِ،
لَحْظَةِ عَدَلِ، لَحْظَةِ ابْتِسَامِ
تَبْحَثُ عَنْ خَتَامِ
وَهِيَ تَظَلُّ دَوْمًا خَتَامِ
حَتَّى يَكُونَ الْعَدْلُ،
سَيِّدَ الْأَحْكَامِ
فَالْعَدْلُ وَحْدَهُ، لَا غَيْرُهُ
يَحَقِّقُ الْحَقَّ، وَيَنْشُرُ السَّلَامَ



القاهرة : ٢٨ / ١٢ / ١٩٩٦

دعوة إلى الكتابة .. ١١

[.. لعل أقل ما نعبر به عن إعجابنا بسمر سامي العلمي،
واكبارنا لمشاعرهما الوطنية، والإنسانية هو أن نكتب لها
وهي في زلزالها البريطانية الباردة، لنبلغها كم هي غالية
علينا وكم نحن فخورون بها..]

د. أنيس صايغ السليير ١٩٩٦/١٢/٢٠

(١)

يا إخوتي.. أدعوكم أن تكتبوا
لعزيزة، جوراً، وظلماً تُغلبُ
في السَّجنِ أختكم، تعاني قهرها
وبليلها القاسي الطويل تُعذبُ
سمرُ العزيزة، من لها إلا الألى
من أجلهم، هذا العطاء الطيبُ
كُونوا لها بِحَنَانِكُمْ، وحنينكم
وبِحُبِّكُمْ وبكلِّ ما تترقبُ

(٢)

سَمَرُ العزيزة، أثرت في بذلها
وطناً، يهددُ بالضَّياعِ ويُنهَبُ
ضَرَبَتْ لَنَا مَثَلاً، وَكَانَتْ قُدْوَةً
في البذلِ، لَا تَخْشَى وَلَا تَتَّهَيْبُ

مَا هَمَّهَا تَرْفُ الْحَيَاةُ وَلَهْوُهَا
 أَوْ أَىُّ مَا يُغْرِى الْبَنَاتِ وَيَجْذِبُ
 نَهَلَتْ مِنَ الْعِلْمِ الْكَثِيرِ وَأَبْدَعَتْ
 فِيهِ، وَظَلَّتْ تَسْتَزِيدُ وَتَطْلُبُ
 جَعَلَتْ فَلَسْطِينَ الْحَبِيبَةَ هَمَّهَا
 وَالْغَايَةَ الْقُصَاوَى الَّتِي تَتَرَقَّبُ
 حَلِمَتْ بِهَا وَطَنًا، كَرِيمًا أَمِنًا
 لَا ظَالِمٌ فِيهِ، وَلَا مُتَعَصِّبٌ
 مَا فِيهِ مُخْتَلٌ يَعْكُرُ صَفْوَهُ
 وَيُزَوِّرُ التَّارِيخَ فِيهِ وَيَكْذِبُ
 يَغْتَالُهُ شِبْرًا فَشِبْرًا ظَالِمًا
 وَيُظَلُّ يَسْرِقُ مِنْ ثَرَاهُ وَيَنْهَبُ

(٣)

قَالَتْ: لِأَجْلِكَ يَا بِلَادِي هَمَّتِي
 وَلِأَجْلِ مَنْ قَدْ شُرِّدُوا وَتَغَرَّبُوا
 حَمَلْتُ أَمَانِيَهَا الْكِبَارَ تَجَشَّمْتُ
 لِلصَّعْبِ تَهْدَرُ فِي الْجُمُوعِ وَتَخْطُبُ
 «جَان دَارِك» ثَانِيَةً تَعُودُ وَصُوتُهَا
 يعلو كـ زلزالٍ يَمُوجُ وَيَصْنُخِبُ

عادت كما «الخنساء» فى إقدامها
لله ليس لغيره تتقربُ

(٤)

سمرُ الصبية، والطريقُ أَمَامَها
داج يُغْلَفُه الظلامُ المرعبُ
دَفَعَتْ مَشَاعِلَها، وشَقَّتْ درَبَها
والحقُّ، والوطنُ الحبيبُ المأربُ
«يافا»، و«حيفا»، والديارُ جميعُها
فى مُقَلَّتَيْها صورةٌ لا تغربُ
«والقدسُ» تسكنُها، ويسكنُ شوقُها
المشبوبُ فى وجدانها يتلهَّبُ
وماذنُ الأقصى، وأجراسُ على
قُبَبِ الكنائسِ تسْتَجِيرُ وتندبُ

(٥)

قولوا لقاضِيها: ظلمتَ وأعلنوا
أن العَدالةَ تُسْتَدْلُ وتُخَجَبُ
قولوا له: إن المَسِيحَ مُكَبَّلُ
فى القدسِ ثَانِيَةً يُسَاقُ وَيُصَلَّبُ

قولوا: أتؤمن بالمسيح فإن تكُنْ
حَقًّا قَفِينِمْ تَجُورُ فِيمَا تُذْنِبُ؟
أَمِنَ الْعَدَالَةِ، أَنْ تُدِينَ بَرِيئَةً
ظَلَمًا . . . وَيَقْسُو حُكْمَكَ الْمُتَصَلِّبُ؟

(٦)

سَمَرُ الْعَزِيزَةِ، فِي سَوَادِ عُيُونِنَا
وَقُلُوبِنَا تَبْقَى وَلَا تَتَفَنَّى
فِي غَزَّةِ الْبَيْضَاءِ، يُشْرِقُ إِسْمُهَا
وَلَهَا بِهَا فِيهَا الْمَكَانُ الْأَرْحَبُ
هِيَ ابْنَةُ الْوَطَنِ الْعَزِيزِ وَتَبْنُوهُ
تَزْهَوُ بِهَا أَجْيَالُنَا وَتُرَحِّبُ
هِيَ فِي فَلَسْطِينَ، وَفِي تَارِيخِهَا
سَيَفْرُ بِأَيَاتِ الْبُطُولَةِ يُكْتَبُ

(٧)

يَدْمَى قُوَادِي، كُلَّمَا اذْكُرْتُهَا
وَتَضِجُ أَخْيَلْتِي، أَثُورُ، وَأَغْضَبُ
لَا خَيْلُ مُعْتَصِمٍ، وَلَا أَجْنَادُهُ
فِي السَّاحِ ضَلَّ الْمُنْجِدُونَ، وَغُيِّبُوا

أختاهُ عَفُوءاً، يا أعزَّ بناتنا
ما حِيلَتِي، وأنا الشَّريدُ المُثْعَبُ
أنا شاعرٌ يا أختُ، سيفي كَلَمَتِي
في الحقِّ أَجَبَهُ لا أخافُ وأرهَبُ
هي قُدرتي هذي ومالي غيرُها
قَلَمٌ أَحَدٌ من السُّنانِ وأغْلَبُ
فإذا أَقْصَرُ عَنْكَ عَفُوكَ إِنِّي
أختي، وَحَقِّكَ شاعرٌ ومُجَرَّبُ
لَكِنَّهُ زَمَنٌ رَدَى كَسالُحُ
غَمْدَارٌ يُنْذِرُ بِالْخِرابِ وَيَنْعَبُ
فَتَجَمَّلِي بالصَّبْرِ، آتِ فَجَرُنَا
مَا اسْوَدَّ لَيْلٌ أَوْ تَطَاوَلَ غَيْهَبُ



القاهرة ١٩٩٧

الأرنب .. وأم إسماعيل

[مريم جمعة «أم إسماعيل» تعرفت إلى «عادل
ترمس» أحد سجناء حزب الله أثناء زيارتها لزوجها
جمعة المحكوم عليه بالسجن مدى الحياة]

(١)

أحكى لكلم ..
عَنْ «أم إسماعيل»
حكاية لامرأة عادية
مِنْ شَعْبِنَا الْأَصِيلِ

(٢)

يَحْكُونُ عَنْهَا
فِي لِيَالِي «القدس»
فِي «نابلس»
فِي «غزة» فِي «عكا»
فِي «الخليل»
يَحْكُونُ عَنْ مَوْقِفِهَا النَّيْلِ
وَحُبِّهَا لِلْأَرْنَبِ الْجَمِيلِ

(٣)

«عادل» هذا الأسمرُ

السُّكَّرُ

مِنْ وَطَنِ

مِنْ أَجْمَلِ الأوطانِ

ثارَ على مُحْتَلِ أرضِهِ

وَقَاوَمَ العُدوانَ

(٤)

لأُمِّ إِسْمَاعِيلَ

كُلَّ أسْبوعَيْنِ رَحِلَتَانِ

إِحْدَاهُمَا لِلسَّجَنِ

فِي «الرَّمْلَةِ»

وَالْأُخْرَى لِلْأَرْنبِ

الَّذِي تُحِبُّهُ

فِي سِجَنِ «عَسْقَلَانِ»

(٥)

«مَرْيَمُ»

مِثْلَ كُلِّ أُمَّهَاتِنَا

لَا تَعْرِفُ الرَّفَاءَ

وَلَمْ تَذُقْ كَغَيْرِهَا
مِنَ الْمُنْعَمَاتِ
لِلذَّةِ الْحَيَاةِ

(٦)

«مَرْيَمُ»
لَمْ تُفَكِّرْ مَرَّةً
فِي بَيْتِهَا الْمُنْسُوفِ
فِي أَوْلَادِهَا السَّتَّةِ
فِي الْبَيْتَيْنِ
فَهَؤُلَاءِ هُمْ أَبْنَاؤُهَا
قَدْ سَكَنُوا فِي قَلْبِهَا
الْحَنُونِ فِي الْعَيْنَيْنِ

(٧)

هَلْ صَدَفَةٌ بِأَنَّهَا «مَرْيَمُ»؟
هَذِهِ السَّيِّدَةُ الشَّامَّةُ
وَأَنَّ اسْمَهَا الَّذِي
تَحْمِلُهُ مِنْ أَطْهَرِ الْأَسْمَاءِ
وَأَنَّهَا عَلَى خُطَى
أَسْمَاءَ، وَالْخَنَسَاءِ

مندورة للوطن الذي
تُحبُّ للفداء

(٨)

أحبُّكم جميعكم
أعيش صبراً أمهاتكم
أسكن في سقوف زناياتكم
تدور رُوحى حولكم
في صخركم، وفي منامكم

(٩)

أحببتمو أنتم «فلسطين»
كما أحببتموها
افتديتمو «لبنان»
مثلما افتديتموها
فكل كلمة نطقتمو
بها وعيتموها

حملتموها يرن في أذنى
أينما أكون صوتها

(١٠)

يسعدنى صمودكم

هذا الذى قد أعجزَ الظلامُ

سيرتكمُ أحملها معي

فى الصدر كالوسامُ

أحكى ولا أملُ

فالحديثُ عنكمو

يطولُ يعذبُ الكلامُ

(١١)

تقولُ أم إسماعيل

الأشرفُ الأحبُّ لى

أبنائى الشهداءُ

والأشرفُ الأحبُّ لى

أبنائى السُّجناءُ

منْ آثروا الجهادَ، والفداءُ

على قصورِ البذخِ، والثراءُ

فهؤلاءُ

لا يُنافقونَ أو يُساومونَ

أو يلبسونَ جُبّةَ الرِّياءِ

لأنهم أنقى من النِّقاءِ

(١٢)

فِي كُلِّ رَحْلَةٍ
لَا مِإِسْمَاعِيلَ
تَنْهَضُ السَّقُوحُ، وَالْجِبَالُ
وَقَوْفُهَا أَسْرَابٌ مِنْ عَنَادِلٍ
تَشْدُو لَهَا، وَتُطْلِقُ الْمَوَالَ
المجد للرجال

المجد للأبطال
فِي لَيْلِهِمْ فِي سِجْنِهِمْ
فِي قَسْوَةِ الْأَغْلَالِ
يُخَبِّتُونَ فِي صَدُورِهِمْ
تَفْجَرُ اللَّظَى، وَثَوْرَةُ الزَّلْزَالِ



القاهرة ١٩٩٧

رسالة إلى المبعدين

[كما أعراف الصنوبر وأكمام الياسمين، حملتهم
رياح السموم، ودفعت بهم إلى البعيد عن
الوطن... ولكنهم هتفوا... عاندون]

(١)

وَأَنَا الْمَسَافِرُ، هَذَنِي السَّفَرُ	مَاذَا أَقُولُ لَكُمْ؟ وَأَعْتَذِرُ
وَمَشَاعِرِي، بِالْهَمِّ، تَسْتَعِرُّ	خَجَلَانُ، مَا عِنْدِي سِوَى قَلَمِي
مُتَرَبِّصٌ، لَصِغَارِكُمْ حَذِرُ	أَلَا أَنْ جُنْدِيًا بِمَذْفَعِهِ
وَسِلَاحُهُمْ فِي وَجْهِهِ حَجَرُ	يَرْمِيهِمْ غَدْرًا وَيَرْعَبُهُمْ
لِيلَاتُهُ، وَاشْتَدَّتْ الْغَيْرُ	وَالْإِحْتِلَالُ تَطَاوَلَتْ وَقَسَتْ
أَنْ يَمْحَى عَنْكُمْ وَيَنْدَثِرُ	فِي وَجْهِهِ أَنْتُمْ، وَغَايَتُكُمْ
أَنْ يَنْتَهِيَ هَذَا وَيَنْحَسِرُ	كُلُّ الشَّرَائِعِ فِي وَثَائِقِهَا

(٢)

فِي وَجْهِهِ تَتَدَافَعُ الزُّمَرُ؟	أَوْ تَبْعِدُونَ لَأَنْ غَاصَّ بِكُمْ
الْحَقُّ وَالْإِيمَانُ وَالظُّفَرُ؟	أَوْ تَبْعِدُونَ لَأَنْ غَايَتُكُمْ
شُدُّوا بِأَغْلَالِ الْأَذَى أَسْرُوا؟	أَوْ تَبْعِدُونَ لَأَنْ إِخْوَتُكُمْ
وَالثَّلْجُ لَيْسَ يَكْفُ وَالْمَطَرُ	فِي التَّلَفُّزَاتِ تَجِيءُ صَوْرَتُكُمْ
خِيَمَاتُكُمْ يَتَكَدَّسُ الْكَدَرُ	الْثَّلْجُ يَهْمِي فَوْقَكُمْ وَعَلَى
بِالصَّبْرِ وَالْإِيمَانِ يَنْفَجِرُ	وَتَكْبُرُونَ، يَجِيءُ صَوْرَتُكُمْ

(٣)

هَذِي الْوُجُوهُ نَكَادُ نَعْرِفُهَا	أَيَّامَ، كَبَّرَ عَالِيَا عَمَرُ
وَكَاثِمًا مِنْ كَبَّرُوا بَعَثُوا	فِي وَجْهِ مَنْ بِحَقْوَقِهِمْ كَفَرُوا
وَكَاثِمًا الشُّهَدَاءُ، قَدْ نَهَضُوا	مَاذَا أَعْدَدُ، إِنَّهُمْ كُثُرُ
وَكَاثِمًا عَادَتُ مُجْلِجَةً	أَفْوَاجُهُمْ بِالْحَقِّ تَأْتِرُ
هَذِي الْوُجُوهُ تَجِيءُ ثَانِيَةً	فَتُنَوِّرُ الدُّنْيَا وَتَنْبَهَرُ
لِلَّهِ فَوْقَ الثَّلَجِ سَجَدَتْهُمْ	تَحْتَ السَّمَاءِ تَهْزُ مِنْ نَكَرُوا
مَتَمَرِّسُونَ عَلَى الصُّمُودِ فَمَا	فِي صَفْهِمْ خَوْفٌ وَلَا خَوَرُ

(٤)

تِلْكَ الْمَنَادِيلُ الَّتِي ارْتَفَعَتْ	يَوْمَ الْوَدَاعِ، مَشَاعِلُ حُمُرُ
مِنْ خَلْفِكُمْ أَطْفَالُ مَا فَتَحُوا	لِلْإِنْفَاضَةِ عَسْكَرُ مُجَرُّ
فِي التَّلْفِزَاتِ تَجِيءُ صُورَتُهُمْ	لِتَقُولَ لِلْمَوْتِ، أَلَا انْتَشَرُوا
إِنَّا حَمَلْنَا فَوْقَ طَاقَتِنَا	وَصَمْتُمُو وَتَكَلَّمَ الْحَجَرُ
فِي التَّلْفِزَاتِ نَسَاؤُكُمْ صَرَخَتْ	«اللَّهُ أَكْبَرُ» أَيْنَ مَنْ نَصَرُوا
بَلْ أَيْنَ مَعْتَصِمٌ، وَنَخْوَتُهُ	لَا قَيْسَ فِي السَّاحَاتِ لَا مُضَرُّ

(٥)

مَا عَادَ فِي الْمِيدَانِ مِنْ أَحَدٍ	خَلَّتْ الدِّيَارُ، وَغُيِّبَ الْقَمَرُ
أَيْنَ الرِّجَالُ، وَأَيْنَ نَخْوَتُهُمْ	أَيْنَ الْعَوَاصِمُ إِنَّهَا كُثُرُ
أَوْ لَيْسَ أَهْلُونَا وَأَخْوَتُنَا	مَنْ يَقْتُلُونَ، وَتُدْبِحُ الْأَسْرُ

أو ليس من حق لمن صمدوا
أن يصرخوا، حتى إذا دُبِحوا
أيَحَاكِمُ المَقْتُولَ قَاتِلُهُ
فى أى عَصْرٍ نَحْنُ أَيُّ يَدِ
هَذى التى للظلمِ جَانِحَةٌ
تَحْتَ الحِصَارِ ومن له صَبَرُوا
أَنْ يَنْفَرُوا حَتَّى وَإِنْ قَهَرُوا؟
وَيُبْرَأُ الجَانَى، وَيَنْتَصِرُ؟
هَذى التى تُمْلَى وَتُقَسِّدُ؟
وَالْعَدْلُ مَغْلُوبٌ وَمُنْكَسِرٌ

(٦)

تلك المناديلُ التى ارتفعتْ
يومُ الوداعِ وكُلُّ جَارِحَةٍ
أو تبعدونَ . . لأنها صدقتْ
ما رَمَلَتْهُ الا وَتَغْرِفُكُمْ
يترعرعُ الزيتونُ من دمكم
ترنولعو دتكم على لهفٍ
راياتُ فوقَ الشَّمْسِ تَتَشِيرُ
فى الأرضِ تصرخُ ذلٌ من أَمَرُوا
أهدافكم فى وجهِ مَنْ غَدَرُوا؟
فِيهَا وَمِنْهَا: مِنْكُمْ أَثَرٌ
وَيُنَوِّرُ اللَّيْمُونَ يَزْدَهَرُ
الدُّورُ وَالسَّاحَاتُ وَالشَّجَرُ

(٧)

أَتَنَامُ، كَيْفَ تَنَامُ أَعْيُونُنَا
مفتوحةٌ فى اللَّيْلِ شاخصةٌ
أَنَامُ والخِيَمَاتُ عَارِيَةٌ
ما سَاعَةٌ إِلَّا وَيُرْعَبُنَا
أهلوكم للهِ درهمٌ
وعيونكم قد مَسَّهَا الضَّرَرُ
مذهولةٌ تشجى وتُعْتَصِرُ
فى الرِّيحِ لا دَفءٌ ولا سُتُرُ
هذا الذِّى تَأْتى بِهِ الصُّوَرُ
ماذا وكيفَ عليكمُ صَبَرُوا

(٨)

أطفالكم، ونساؤكم حملوا
عبءَ الأمانةِ خُلُصًا نَفَرُوا

قَالُوا، عَلَى اسْمِ اللَّهِ خَطُونَا	تَتَسَلَّحُ الْأَهْدَافَ وَالْفِكَرُ
مَا هَالَهُمْ أَنْ الدُّنَى نَكَّرَتْ	أَمَّا لَهُمْ، وَتَنَكَّرَ الْبَشَرُ
مَا هَالَهُمْ أَنْ الْعُسْرُوبَةُ نُكَّسَتْ	رَايَاتُهَا وَأَصْنَابُهَا الْخَدَرُ
هُمْ فِي الْحَصَارِ عَلَى عَهْدِهِمْ	مَا هَدَّهُمْ جُوعٌ وَلَا غَيْرُ
ظَلُّوا عَلَى الْحَقِّ الَّذِي حَمَلُوا	وَتَجَرَعُوا الْأَلَامَ وَاصْطَبَرُوا

(٩)

الدَّعْمُ أَيْنَ وَإِنَّهَا قِمَمٌ	تَتَرَى، وَمُؤْتَمَرٌ، وَمُؤْتَمَرٌ
أَيْنَ الْخَطَابَاتِ الَّتِي هَدَرَتْ	أَيْنَ الْبَيِّنَاتِ الَّتِي ذَكَّرُوا
أَيْنَ الْقَرَارَاتِ الَّتِي سَطَرَتْ	لَمْ يَبْقَ مِنْهَا بَعْضٌ مَا سَطَرُوا
ضَاعَتْ كَأَنَّ الرِّيحَ تَنْثُرُهَا	بَدَا فَلَا يَبْقَى لَهَا أَثَرُ
قَالُوا انْتِفَاضَتُمْ مَبَارَكَةٌ	وَأَعَزُّ مَا جَادَتْ بِهِ الْعُصْرُ
وَتَرَكْتُمْوُ لِلْجُوعِ يَنْهَشَكُمْ	مَجْنُونٌ، لَا يُبْقَى وَلَا يَذَرُ

(١٠)

يَأْتِي الْحَصَارُ تَلَا حَقًّا وَعَلَى	أَبْيَاتِكُمْ، يَتَكَاثَرُ النَّقَرُ
حَتَّى الشُّعُوبِ، الْقَمْعُ أَخْرَسَهَا	وَأَحَالَهَا، بَكَاءَ تَنْحَادِرُ
مَا عِنْدَهَا حَتَّى وَلَا قَلَمٌ	يَرَوِي حِكَايَاكُمْ وَلَا خَبَرُ
أَمَّا الصَّحَافَةُ فَهِيَ عَاجِزَةٌ	مَغْلُولَةٌ، بِكَمَاءٍ تَحْتَضِرُ

(١١)

مَاذَا أَقُولُ لَكُمْ وَبِىْ لَهْفٌ	لِلْقَائِكُمْ، وَالْقَلْبُ يَنْفَطِرُ
-------------------------------------	---------------------------------------

فى الانتظار؁ تظل أرضكم
ولسوف تبقى «عائدون» وإن
غنوا بها؁ والله ناصركم
لا ترجعوا إلا لموطنكم
مهما نأيتُم إنها القدرُ
طُمست كهدر الرعد تنفجرُ
وتدرعوا بالحق وأتزرُوا
قدرويه الخضراءُ تنتظرُ



القاهرة ١٩٩٣

صرخة إلى السماء

[تنادي وزراء الخارجية العرب لاجتماع
طارىء من أجل المبعدين]

(١)

الْبُغْدُونُ، تَحَرُّقُ وَتَطْلَعُ
تَخَوُّوْا أَلَى، شَدُّوا الرِّحَالَ وَجُمِعُوا
هَمُّ فِي انْتِظَارٍ، لَلْقَرَارَاتِ الَّتِي
مَنْ أَجَلَ عَمَلِهِمْ تُسَنُّ وَتُشْرَعُ
عَيْنِي عَلَى الْوُزَرَاءِ طَالَ نَقْشُهُمْ
وَاللَّيْلُ طَالَ بِهِمْ، وَطَالَ الْجُحُومُ
حَتَّى، وَإِنْ، وَكَيْفَ، فِي قَامُوسِهِمْ
كَلِمَاتٍ فِي أَخْرَجَ وَرَدِ تَوْضِعِ
لَتَجِيءَ، أَقْوالاً يَكْرُرُ ذِكْرُهَا
يُجْلَى بِهَا وَجْهَ الْبَيِّنِ وَيُلْمَعُ
لَجَأُوا إِلَى شَرْعِيَّةٍ دُولِيَّةٍ
سُنَّتْ قَبْلُ ضَرْبُ مَنْ تَشَاءُ وَيُقَمَّعُ
وَيُطَالَبُونَ، وَلَيْسَ مِنْ يَدْرِ بِهِمْ
فِي مَجْلِسِ الْأَمْنِ الْعَتِيدِ وَيُسْمَعُ
هُوَ لِلْعَدُوِّ مَكْرُسٌ وَمَهْيَا
قَبْلَ سَنٍ، مَا شَاءَ الْعَدُوِّ وَيُشْرَعُ
مَامَرَةً الْقِي بِثَقْلِ جَهْدِهِ
لِلْحَقِّ يَعْلى شَيْئاً أَنَّهُ وَيُمنَعُ

كُلُّ الْقَرَارَاتِ الَّتِي فِي دَرَجَةٍ
 خُصِّبَتْ تَعَطَّلُ عَنْدهُ وَتَصَدَّعُ
 مِنْ مَجْلِسِ الْأَمْنِ الْعَتِيدِ تَوَالِيًا
 تَأْتِي الْقَرَارَاتُ الَّتِي لَا تَنْفَعُ
 هِيَ لِهَيْبَةٍ، يَلْهَوْ بِهَا شَيْطَانُهُ
 لِنَظْلِ فِي أَحْسَنِ النَّاتِقِ وَقَعُ
 يَدُهُ تَطُولُ تَرَابَنَا وَسَمَاءَنَا
 وَعَدُونَا فِي خَيْرِنَا يَتَمَتَّعُ
 يُخَمِّي بِأَسْلِحَةِ الدَّمَارِ جَمِيعَهَا
 وَتُصَدِّعُ عَنْ حَقِّ الدَّفْعِ وَتُمنَعُ
 مَا شَاءَ يُلْجِئُنَا كَأَنَا عَنْدهُ
 خَيْلٌ تَشْدُ كَمَا يَشَاءُ وَتَخْضَعُ
 هُمْ يُنْكِرُونَ شَيْئًا مِنَّا حَتَّى إِذَا
 صَرَخَتْ، فَإِنَّ صُورَ أَخِيهَا لَا يُسْمَعُ
 الطَّائِرَاتُ حَاشَا لِي فِي أَرْضِنَا
 فَتَدْكُنَا أَنِي تَشَاءُ وَتَقْضِي
 وَبِحُورِنَا فِيهَا يَجُوبُ عَدُونَا
 يُحْصِي عَلَيْنَا مَا نَقُولُ وَنَصْنَعُ
 آلَافُ رَادَارَاتِهِ مِنْ قَرْنِنَا
 مِنْ تَحْمِيَّتِنَا فِي كُلِّ رَكْنٍ تَقْضِي
 وَالصَّامِتُ فِي كُلِّ الدِّيَارِ كَأَنَّهُ
 لَيْلٌ طَوِيلٌ فَتَوْقِنَا يَتَرَبَّعُ

لَا نَامُوتُ، لَا نَسْمُوتُ لَا كَلِمَةً
لَا أَى شَيْءٍ عِنْدَنَا يُتَوَقَّعُ

(٢)

وَالْمُبْعَدُونَ هُنَاكَ فِى أَحْسَنِّ زَانِهِمْ
خُذْلُوا، فَمَا جَاءَ الْقَرَارُ الْمُقْنِعُ
حَرْبَانِ، حَرْبٌ لِلْعَدُوِّ شَدِيدَةٌ
وَمِنَ الطَّبِيعَةِ هَجْمَةٌ تَتَدَفَّعُ
الْثَلْجُ وَالْمَطَرُ الْغَزِيرُ، وَلِفْحَةٌ
لِلْبَرْدِ فِى خَيْمَتِهِمْ تَتَوَزَّعُ
وَالْجُوعُ، وَالظَّمْأُ الْمَرِيعُ، وَقَسْوَةٌ
الْأَلَامِ، وَالْأَرْضُ الْعَمْرَاءُ الْبَلَقَعُ
وَيُقَالُ إِنْ شُعْرُونَا مَغْنِيَةٌ
بِهِمْ، لِأَجْلِ هُمْ تَهْبُوتُ سُرْعُ
وَيُظَلُّ حَالُهُمْ، كَمَا هُوَ لَا يَدُ
تَأْسُورُ، وَلَا عَيْنٌ لَهُمْ تَتَطَّلَعُ
مَا عِنْدَهُمْ، إِلَّا انْتِفَاضَةٌ شَعْبُهُمْ
فِى كُلِّ يَوْمٍ، بِأَسْمِهِمْ تَتَوَجَّعُ

(٣)

يَا قُلُوبَنَا فِى كُلِّ أَرْضٍ إِنِّى
آتِ الْبِكْمَ، لَهُمْ فَتْنَةٌ أَتَضَرَّعُ
إِنِّى لِأَسْأَلُكُمْ، بِحَقِّ كِتَابِكُمْ
يُتَلَّى، وَأَيَّاتِ ثُنْيِي رُوتُ سَطْعُ

هل حق أسرائيل أن تلهـوبكم
 وتظل في غلوائها تـمـتـع
 ماذا ترى قلتم لها، وهى التى
 فى كل يوم، غـزوها يتوسع
 أوليس لبنان، ترى من أرضكم؟
 فـمـلام يترك وحده يتلوع؟
 أوليس الجولان بعض دياركم؟
 أو مالكم فيـها أذان يرفع؟
 أوليس القدس الشريف مدينة
 الرحمن، شـيـدها السجود الركع
 أوليس، للإسرائاء فى أذهانكم
 ذكر يحرركم، وأمر يندفع
 ماذا أقول لكم، وما فى جمعيتى
 عنكم، كـثـير، لا يقال ويسمع
 ما عاد عندى، ما أباهى باسمكم
 ضيغت، وأسفاه فيمن ضيعوا
 متناحرون فكل يوم قصص
 عنكم لها يندى الجبين ويصنع
 تتجمعون فيفرح الوطن الذى
 انتم له، واليكم يتطلع
 ونظل فى احـزاننا، وعـذابنا
 ونظل من كأس الأسى نتـجـر

هو حنا هذا وتلك حنا دودنا
أصفار لا تُحصي، وليست تُجمع
إننا نأبى عن دنا وروانا
وجيوشنا وحشودنا، والموقع
مُتفرقون، ولا سبيل لجمعنا
مُتفرقون، وكل يوم نُصرع
هذا على هذا، ومما من واحد
منا يقول كفى، ولا يتصرع
هل بعد إسرائيل شيء آخر
فى العالم العربى، بعد يُبرطع؟
الطائرات تُجرب فى أجواننا
أنى تشاء، كما تشاء تُلعلع
ترمي الدمار لأنها شرعية
شُرعت لنا، وبها نُصد ونمنع
من قال أن سماءنا ليست لنا
فى أى شرع لا نرد ونردع
هى شرعية دولية للمعتدي
يرمى بهما أوطاننا ويروغ
ما ذنبهم من أبعدا أو عُذبا
ما ذنب من ذاقوا الحصار وجوعوا

مَا ذَنْبُ مَرْضَاكُمْ، يَظِلُّ دَوَاؤُهُمْ
 عَنْهُمْ، بَعِيدًا لَا يُطَالُ وَيَنْفَعُ؟
 أَهَنَّاكَ انْسِيَانِيَّةٌ غَيْرَ الَّتِي
 تُحَمِّي، بِزَحْفٍ جَيِّشٍ وَشُهُمٍ وَتُدْرَعُ؟
 أَوَلَسْتُمْ وَبَشَرًا الِيسَ صَفَارُكُمْ
 أَطْفَالًا، مِثْلَ صَفَارِهِمْ تَتَلَوُّ؟
 عَادَ الصَّالِحِينَ، إِنْ حَشَوْدُهُمْ
 مِنْ كُلِّ انْحِاءِ الدُّنْيَا تَتَجَمُّعُ
 هِيَ حَمَلَةٌ أُخْرَى، تَدُقُّ بِعُغْفَرِهَا
 أَبْوَابَنَا لِأَنَّهَا رَأَتْ قَرْعُ
 نَصْرًا وَانْنَامُ عَلَى هَدِيرٍ حُشُودِهَا
 فِي كُلِّ أَرْضٍ حُشُودُنَا تَتَزَوِّجُ
 تَخْتَارُ أَسْبَابًا، وَتُخْفِي غَيْرَهَا
 وَيَأْيَا سَبَبٍ لَهَا تَتَزَوِّجُ
 وَتَظَلُّ نَحْلُمُ أَنْ نُحَقِّقَ وَحْدَةً
 كُبْرَى، وَتَرْكَنُ لِلْخَمُولِ وَنَهْجُ
 وَنَغْطُ فِي أَحْمَامِنَا، وَأَمَامِنَا
 الدُّنْيَا، تُحَقِّقُ مَا تَشَاءُ وَتَصْنَعُ
 يَا إِخْوَتِي مَرْجُ الزَّهْرِ مَنْوَرُ
 بِكُمْ بِنَفْعٍ أَرِيحُكُمْ يَتَضَوُّ
 لَوْ يَسْتَطِيعُ لَصَاغٍ مِنْ أَسْمَائِكُمْ
 دُرًّا تَنْوَرُ فِي السَّمَاءِ وَتَسْطَعُ

عُمَرَى الذَّى قَضَيْتَهُ مُتَفَانِلًا
 أَشْهَدُ بِأَمْسَالِي الْكَبِيرِ وَأَبْدَعُ
 تَنْجَابُ عَنْ عَيْنِي مِثْلَ غَشَاوَةٍ
 أَحْلَى الْأَمْسَانِي الْعِذَابُ وَتُنْزَعُ
 مَاذَا سَيُتْرَكُ لِلْأَلَى مِنْ بَعْدِنَا
 يَأْتُونَ، تَارِيخُ الْيَمِّ مَوْجِعُ
 يَا إِنْخِرَوتِي هَذَا أَنَا أَبْلَغْتُ مِنْ
 عُمَرَى الذَّى أَبْلَغْتُ لَا أَتَزَعُ غَزَعُ
 قَاتَلْتُ بِالْقَلَمِ الْجَرَى وَخَضَّتْهَا
 شَتَّى الْمَعَارِكِ صَامِدًا لَا أَرْجِعُ
 وَالْيَوْمَ ذَا عُمَرَى، وَهَذِي أَمْتِي
 مَاذَا أَقُولُ لَهَا وَمَاذَا أَسْمَعُ؟
 يَا رَبُّ هَذِي أَمْسَتِي ذَا حَالُهَا
 فَالْيَكْ وَحَدِّكَ شَعْبُنَا يَتَطْلَعُ



تونس ١٩٩٣

قصائد الانتفاضة

قصيدة للانتفاضة

[في فلسطين ارتفعت شعلة الانتفاضة المباركة
قبسها من نور يهدي المذلجين إلى
فجر الحرية والنصر... ١١]

(١)

ولن يطأ طيء رأس، طاوول الشُّهْبَا	لن يكسروا شوكة الشعب الذي وثبا
فكم على أرضها، كم شَبُّ وانتصَبَا	هذي فلسطين، والتاريخ يعرفها
خزائن الكون، لا مالا، ولا ذهبَا	فَرملة من ثراها، لا تُعادِلُها
وَضُمُخت بشذى أذيالهم، حِقَبَا	تعطرت بدم الأحرار تربتها
تمد أعرافها، جاها لنا، حَسَبَا	أنى تلفت، فالأثار خالدة
تساميا تنشر الأعلام، والطنبَا	في كل منحدر، أو كل مُرتَفَعِ

(٢)

وهبة، أشعلت في أرضنا اللهبَا	الانتفاضة، إعصار، وعاصفة
على هدير، على أبوابه اصطخبَا	أتت، إلى الغاصب المحتل توقظَة
أبطالها الغر، كانوا باسمها الخطبَا	«الله أكبر»، يوم الهول ردّدهَا
تلاحقا، تعلن الإرزام، والصخبَا	قد لعلعت فهدير الموج أرسلها
في الانتظار، إلى الفجر الذي اقتربَا	من شاطئ الشوق، حيث العائدون به

أَطَالَ لَيْلٌ . . ؟ وَكَمْ لَيْلٍ عَلَى وَطَنِي تَطَاوَلَا حَظٌّ حَتَّى زَالَ وَاحْتَجَبَا

(٣)

الانْتِفَاضَةُ، زَلْزَالٌ، وَمِلْحَمَةٌ وَثُورَةٌ، تَتَّحِدِي، الْجَيْشَ، وَالْغُرَبَا
أَتَتْ كَمَا الْفَجْرِ، مِنْ أَعْمَاقٍ دَاجِيَةٍ سُودَاءَ، تَبْتَكَرُ التَّصْمِيمَ، وَالْغَضْبَا
تَحَرَّكَتْ فِي الْحَنَايَا، حِينَ عَاصَفُهَا يَصُبُّ جَامُ اللَّظَى، مُسْتَثْسِدًا لَجَبَا
يَمْتَدُّ مِنْ غَزَاةِ السَّمَاءِ لَاهِبُهَا لِلْقَدَسِ مُنْدَفِعًا فِيهَا، وَمُنْسَرِبَا
وَتَعْتَلَى فِي جِبَالِ النَّارِ شُعْلَتُهَا تَعِيدُ فِيهَا زَمَانًا رَائِعًا خَصِبَا
لَنَا . . لَنَا الْأَرْضُ، آمَالٌ مُقَدَّسَةٌ عَلَى ثَرَاهَا نَشَرْنَا الْجُرْحَ مُنْسَكِبَا

(٤)

مِنْ شَاطِئِ الْبَحْرِ، حَتَّى النَّهْرِ مَوْطِنَا وَسَائِلُوا التَّيْنَ، وَالزَّيْتُونَ، وَالْعِنَبَا
وَسَائِلُوا الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى، وَقُبَّتَهُ وَمَهْدَ عَيْسَى، وَمَنْ صَلَّى وَمَنْ خَطَبَا
مِنْ غَيْرُنَا، فِي مَدَى التَّارِيخِ وَقَفَّتُهُ تَرَدُّ عَنْهُ الْأَذَى، وَالْحَقْدَ، وَالنُّوبَا
وَمَنْ سَوَانَا تَحْدَى الزَّاحِفِينَ إِلَى أَرْضِ السَّلَامِ، وَمِنْذَا غَيْرُنَا، صَلَبَا
مِنْ عَهْدِ كَنْعَانَ، وَالْفَارُوقِ بَاقِيَةٌ آثَارُنَا خَالِدَاتٌ، تَمَلُّ الْكُتُبَا

(٥)

قُلْنَا فَلَسْطِينَ . . فَاهْتَزَتْ جَوَانِحُنَا مِنْ الْحَنِينِ، . . وَشَبَّ الشُّوقُ وَالتَّهَبَا
أَبَاؤُنَا، فِي ثَرَى أَقْدَاسِهَا جُوبِلُوا وَلَكِنْ نَخُونُ تَرَابًا، بِالْدَّمِ اخْتَضَبَا
إِنَّا حَمَلْنَا، عَلَى أَكْتَافِنَا زَمْنَا عَبَاءَ الْقَضِيَةِ، لَمْ نُنْكَرْ لَهَا طَلَبَا

ظلت فلسطينُ، وشَمًا في مَفارقنا
 لم نَخْتَبِئْ، خَلْفَ رَمِزٍ لَا يُفسِّرُنَا
 وَلَا جَعَلْنَا فلسطيناً مُغلفةً
 مُنَوَّرٌ إسمها في كُلِّ مَا سَطَرَتْ
 نادتُ بنا، . . وصغيراً كانَ فارسُها
 يرمى الحجارةَ، شَلالاً يَواجهُهُمُ
 يَضِيءُ في حُلْكةِ الظُّلَماءِ شَمْعَتُهُ
 وَكَلَّمَا لآلَاتُ في الأفقِ بَارِقَةٌ
 طفلُ نَعَم، واقْرأوا في سِفْرِ ثورتهِ
 أعْيى عَتَاوَةَ الإرهابِ أعجزَهُمُ
 نقشًا على القلبِ، في العينينِ قَدْ صُلِّبَا
 وَلَا خَبَأْنَا اسمَها، في كُلِّ مَا كُتِبَا
 بينَ السُّطُورِ، تُعاني الجُهدَ والتَّعبَا
 أَقلامُنَا تنشرُ الأَقمارَ والشُّهُبَا
 تَقْدِمُ الصَّفْ، يَمِضُ، شامخًا طَرِبَا
 لَا يَعْرِفُ الخُوفَ، لَا يَسْتَمِرُّ الهَرَبَا
 تَحْدِيًا يَفْحَمُ الأَسْتارَ والحُجُبَا
 تَطاولَا مَدَ كَفَيْهِ لَهَا وَثَبَا
 مَنْ مِثْلُهُ شُدَّ نَحْوَ المَوْتِ وأنْجَذَبَا
 وَعَارَى الصَّدْرِ لاقى حَشْدَهُمُ، ضَرَبَا

(٦)

هذا الصَّغِيرُ الَّذِي اغْتَلَيْتُ طِفْلُوتُهُ
 وَلَا اسْتَرَاخَ إِلَى صَدْرٍ يُهْذَهُهُ
 لَفَ الجَنَاحَ، على جَرَحٍ يُعَذِّبُهُ
 فَأَمَّةٌ هُوَ مِنْهَا، لَيْسَ يُنْكِرُهَا
 يَواصِلُ البَذْلَ، مَشْدُودًا لَغَايَتِهِ
 يَدْرِى بِأَنَّ الَّذِي فِي كَفِّهِ حَجَرٌ
 ما ذاقَ في عَمَرِهِ لَهْوًا، وَلَا لَعِبًا
 كَمَا الصُّغَارُ، وَلَا غَنَى، وَلَا طَرِبَا
 وَآثَرَ الصَّمْتَ مُحْزُونًا، وَمَا عَتَبَا
 لِأَنَّهُ بِاسْمِهَا، قَدْ فَجَّرَ الغَضَبَا
 ما كَلَّ في سَاحَةِ اللَّبْذِلِ، أَوْ تَعَبَا
 يَواجَهُ الغَادِرَ الغَازِي، وَمَا جُلِبَا

(٧)

اختارَ من رائجِ الغَاياتِ ما صَعُبَا	هذا الصَّغِيرُ، عَظِيمٌ في انتِفاضَتِه
أَن تَقْهَرَ الحَقُّ، أو أَن تَقْبُرَ الأربَا	هِيَهَاتَ تَسْطِيعُ، أَجْنَادُ مُدَرَّعَةٌ
حَتَّى تُحَقِّقَ مِنْهَا النِّصْرَ والغَلْبَا	فَالانتِفاضَةُ، تَبْقَى في تُوْهْجِهَا
حَتَّى تَرَدَّ الَّذِي قَدْ ضَاعَ واغْتَصَبَا	حَتَّى تَعِيدَ، أَمَانِينَا الَّتِي سَلَبَتْ
وَاللَّهُ يَنْصِرُ مَنْ لَبَّى، وَمَنْ طَلَبَا	مُبَشِّرٌ بِصَبَاحِ النِّصْرِ فَارْسُهَا



تونس : ١٩٨٨

الشبل الصغير

[قيلت في الاحتفال الكبير، الذي أقامه
التجمع الدستوري الديمقراطي بتونس
ومظلة التحرير الفلسطينية احتفالاً
بذكرى يوم الأرض]

(١)

صَغِيرِي .. أَيُّهَا الشَّبْلُ الصَّغِيرُ
وَيَا مَنْ فَعَلَهُ .. فِعْلُ كَبِيرُ
وَلِدْتُ إِذَ اللَّيْلِ إِلَى حَالِكَاتٍ
فَلَا نَجْمٌ يَلُوحُ، وَلَا بَشِيرُ
وَلَا صَدْرٌ تَلُودُ إِلَى حَمَاهُ
وَلَا بَيْتٌ حَاوَاكَ وَلَا سَرِيرُ
رَأَيْتَ بِأَمٍ عَمَّيْنِكَ أَيْ ظَلَمٍ
يُحْطِوْطُكَ لَا يُزَخْزَخُ أَوْ يَغُورُ
أَبُوكَ مُطَارِدٌ مِنْ غَمٍّ رِذْئِ
وَأُمُّكَ فِي مَآسِيهَا تَحِيرُ
وَفِي سِجْنٍ شَقِيقُكَ لَا تَرَاهُ
وَرَاءَ اللَّيْلِ مُغْتَنَقِلُ أَسِيرُ
وَتَنَمُّوْ وَالْأَسَى طُولاً وَعَرْضاً
وَفِي الْأَحْزَانِ تُغْرِقُكَ الْبُحُورُ

يَطُولُ الْإِحْسَنَالُ وَلَا مُغْنِيَتْ
مِنَ الْوَطَنِ الْكَبِيرِ وَلَا مُجِيرُ

(٢)

وَأَقْدَامُ الْفِدَاءِ مُكَبَّلَاتُ
يُحَاصِرُهَا، الْمِرَاغُ وَالْأَجِيرُ
إِذَا عَبَّ رَتَّ الْيَكْفَ الْفَأْوَاشِ
يُنَدِّدُ، أَوْ يُفَنِّدُ أَوْ يَنْشُورُ
يَقُولُ الْأَبْرِيَاءُ هُمُ إِذَا مَا
دَعَاكَ النَّارُ أَوْ ضَجَّ النَّفِيرُ
صَغَارُ هُمُومٍ، وَنَسِوَتْهُمْ عَلَيْهِمْ
يَطُولُ النَّدْبُ وَالْحُزْنُ الْمَثِيرُ
وَتَخْرُجُ مِنْ مَكَامِنِهَا الْأَقَاعِي
تَفُحُّ بِسُمِّهَا حِفْدًا تَفُورُ

(٣)

نَسَائِلُهُمْ، مَنْ إِنْجَرَأُوا عَلَيْنَا
وَرَاغَ نَقِيقُ حَقْدِهِمْ وَيَمُورُ
الْإِنْسَانُ عِنْدَهُمْ وَحُقُوقُ
وَيَعْمَى عَنْ مَآسِينَا الضَّمَمِيرُ

آيَاتِي مِنْ أَقْصَى الْأَرْضِ قَرِيبًا
 تُقَامُ عَنْهُمْ أُمَّتُهُمْ وَمُؤَدُّهُمْ
 وَيُطْرَدُ أَهْلُنَا ظُلْمًا وَقَهْرًا
 وَلِلنَّاسِ شَرٌّ يُرِيدُ يُسَلِّمُنَا النَّذِيرُ
 وَتِلْكَ الْأَرْضُ كَمْ شَرِبَتْ دِمَانَنَا
 وَتَشْهَدُ فِي تَوَالِيهَا الْعُصُورُ
 بِأَنَّا لَمْ نَكُنْ يَوْمَئِذٍ وَأَنَا
 لَهُمُ الْخَاسِرُونَ الْعَطَايَا وَالنَّذِيرُ

(٤)

تُحَاصِرُ الْإِنْفَاضَةَ وَهِيَ مِنْهُمْ
 لَهُمْ، وَيُحَاصِرُ الشَّعْبُ الْجَسُورُ
 وَفِي أَخْبَارِهِمْ تَأْتِي أَقْتِضَابًا
 وَفِي الْأَقْصَى يَنْقُلُهَا الْأَثِيرُ
 يُحَدِّثُ عَنْ بُطُولَتِهَا وَيُرْوِي
 حِكَايَاهَا، سَفِيرًا أَوْ وَزِيرًا
 وَيَرْجُمُهَا وَيُخَذِّلُهَا أَنْاسُ
 أَذْلَاءُ، وَيَشْنُوها حَقِيرًا
 يَشْكِكُ فِي تَوَاصُلِهَا وَتَهْدِي
 وَيَأْخُذُهَا التَّطَاوُلُ وَالْغُرُورُ

قَيْسُ أَلْ كَيْفَ هَلْ حَجَرٌ يَلَاقِي
 الْجَحَافِلَ، وَهِيَ عَارِمَةٌ تُغَيِّرُ
 وَيَغْجَبُ كَيْفَ تَنْدَفِعُ الصَّبَايَا
 وَكَيْفَ تَهْبُ لِلثَّارِ الْخُدُورُ
 وَكَيْفَ يَوَاجِهُ الْأَطْفَالُ جِيْشًا
 تَدَّرَعُ، كَيْفَ يَلْتَهَبُ الشُّعُورُ
 حَدِيثُ الْإِنْتِفَاضَةِ فَوْقَ هَذَا
 تَطُولُ بِهِ الصَّحَائِفُ وَالسُّطُورُ
 وَلَا يَدْرِيه إِلَّا مَنْ وَعَاةُ
 وَمَنْ عَسَانَاهُ يَعْرِفُ مَا يَدُورُ
 هَنَا فِي تُونِسِ الْخَضِرَاءِ مِنَّا
 لَنَا شَعْبٌ بِهِمْ مَّتَاهُ كَبِيرُ
 نَزَلْنَاهَا، وَقَدْ ضَاقتْ دِيَارُ
 بِشُورَتِنَا، وَقَدْ ضَاقتْ تُغُورُ
 فَكَانُوا الْأَهْلُ وَالْأَنْصَارَ حَبَا
 تَلَقَّيْنَا، الْجَوَانِحُ وَالصَّدُورُ
 سَنَحْفَظُ تُونِسَ الْخَضِرَاءَ عَهْدًا
 عَلَيْنَا، إِنَّهُ الْعَهْدُ الْأَثِيرُ
 سَنَذْكُرُهُ غَدَاةَ النَّصْرِ يَوْمًا
 يُخَلِّدُ ذِكْرَهُ الشَّعْبُ الْغَيُورُ

فنحنُ، وأنتِ أدري بالضحايا
 إذا ما الشعبُ حاصرهُ المغيرُ
 ويومُ الشَّطِّ لن يُنسى وإنّا
 معاً فى دربِ ثورتنا نسيرُ
 يُعيدُ لسيدى يوسفَ ذكرياتٍ
 خوالدها، ليسَ تنساها الدهورُ
 هو الشعبُ المساندُ والمُضحى
 تجذّرَ فيه، والتحمَ المصيرُ
 كذا تبقى العُروبةُ لاهراءُ
 تردهُ المحاسنُ والقُصُورُ
 هى الدّمُ فى العروقِ وفى الحنايا
 وفى الميدانِ زلزالُ جهنمِ
 لنا لا غيبِرتنا، الوطنُ المرجى،
 جبالُ أورمال، أو صخورُ
 ومن رفح إلى صنفندانا
 يظلُّ مَجَلَجَلًا عالِ يُمُور
 وتبقى الإنتفاضةُ فى لظاها
 إلى أن يشرقَ الفجرُ المنيرُ



تونس ١٩٨٨

وقصائد لِفَرَّة

« غزوة.. المحاصرة »

[ليس جديداً حصار المدينة العظيمة غزة،
فكم حاصرها الغزاه عبر التاريخ. ١١
وكم ارتدوا عنها خائبين]

(١)

تُحَاصِرُ، لَيْسَ يُرْهِبُهَا الْحِصَارُ	ولا الْقَصْفُ الْمَرْوَعُ وَالْدَّمَارُ
فَغَزَةُ، قَلْعَةٌ، صَمَدَتْ طَوِيلًا	وَتَصْمِدُ لَا يُفْزِعُهَا الْعِثَارُ
سَنِينٌ، وَهِيَ عَنَوَانُ التَّحْدَى	لَهَا فِي وَجْهِ غَازِيهَا اقْتِدَارُ
لَهَا وَقَفَاتُهَا، زَمَنًا طَوِيلًا	تَصِدُّ الْمُعْتَدِينَ إِذَا أَغَارُوا
تَوَاجِهَهُمْ وَمَا فِيهَا جِبَالٌ	لِتَحْمِيهَا وَمَا فِيهَا جِدَارُ
وَلَيْسَ تَخَافُ وَالضَّرَبَاتُ تَأْتِي	عَلَى أَبْيَاتِهَا، وَتَشُبُّ نَارُ
لَهَا السَّيْفُ الْمُجَلَّى لَا تُبَالِي	بِمَا حَشَدَ الْأَلْدَاءُ الْكَثَارُ
عَلَى أَبْوَابِهَا كُسِرَتْ يَهُودَا	وَعَنْ أَعْتَابِهَا دُحِرَ التَّنَارُ
لَهَا فِي نَجْدَةِ الْأَوْطَانِ سَبْقُ	جَرِيءٍ لَا يُشَقُّ لَهَا غُيَّارُ
فَأَهْلُوهَا عَلَى دَرْبِ التَّحْدَى	غَضَابًا، فَوْقَهُ انْتَفَضُوا وَسَارُوا
لَهُمْ فِي الْجَوْعِ صَبْرٌ وَاحْتِمَالُ	وَلَيْسَ لَهُمْ عَلَى الذَّلِّ اصْطِبَارُ

(٢)

مغلَّقةٌ، حدودهمو عليهم	فلا عونٌ يجيُّ، ولا اعتذارُ
ولا إن طُورِدَ المظلومُ منهم	يلاقى بالحنانِ، ولا يُجَارُ
فكم أم بها، فقدتُ بنيتها	فما لطمَت، ولا شقَّ الإزارُ
وكم شيخ، عليه هوت عصيٌ	فما ذلَّ الشموخُ، ولا الوقارُ
وكم طفل، بألف من رجال	يُلطِّخُ رأسهم خزيً، وعَارُ
يُلاقي الدَّارعات، ومن يديه	على الأعداء، تنهمرُ الحجَارُ
أطفلُ ذاك؟ أم بطلٌ جرى؟	يحاربُ به الوجودُ، ولا يحَارُ
فمن رَفَحَ شَواطئ النارِ يعلو	«بيت حنون»، ينتشرُ الأوارُ
فكلُّ مُعسِّكٍ، جيشٌ كميُّ	على أقداسِ أمته يُغارُ
أشاعَ اللاجئون به دويًّا	له في مَسْمَعِ الدُّنيا دُوكارُ
هو الشعبُ الفدائيُّ المُرجى	له في البذلِ سبقٌ واقتدارُ
وغزةُ أينما دارت عُيونُ	فشمةُ ألفِ معركةٍ تُدارُ

(٣)

وفى «مرج الزهور» هناك منها	رجالٌ خلَّصَ أسدُ خيَارُ
على عهدِ الوفاءِ، وإن تَناءتْ	بهم أرضٌ وإن بَعُدَتْ ديارُ
هم —ويدرون أن الحقَّ باقٍ	وما لهمو عن الحقِّ انحسارُ
أرادوا الصَّعبَ، وانتجعوا طريقًا	مُلغَمَةً، وما ضَعُفُوا وخاروا

هم الأقوى، وإن خُذِلَتْ نفوسُ
 قَغَزَتْهُمْ، بِهِمْ، تسمو شموخاً
 فما تلهيهمو، عَمَّا أرادوا
 كأنهمو الأوائِلُ، يومَ جاءوا
 همو للحسنينِ بهم نزوغُ
 دنياتُ، ولطَخَها الشَّنَارُ
 وقوقَ جَبِينِها يعلو الفَخَّارُ
 مناصبُ، أو مكاسبُ، أو عقارُ
 بدعوتهم وفي الدُّنيا أناروا
 وطُلابُ الشَّهادةِ منذ ثاروا

(٤)

فيا وطن العروبة، أين منهم؟
 وأين تُراهم الأنصارُ، منهم
 فلا أجنادهم، تبدو احتشاداً
 وأسيافُ العروبةِ، وهى كُثْرُ
 تَكَسَّحتْ المروءةُ فهى خجلى
 فلا من صَخْوَةٍ منهم تُلبى
 لهم «قمم» يحار المرءُ فيها
 تنادي بالسياسةِ وهى خزيُ
 فما تجدي، إذا اختَلَّتْ وضَلَّتْ
 وما نفعُ العقولِ إذا تساوى
 تطاردنا بُغَاثُ الطَّيْرِ أتى
 وتلحونا بأقلامِ تَدَنَّتْ
 صلاتك، والتفاتك، والحوارُ
 وفيمَ تَخَلَّفُوا عَنْهُمْ وَغَارُوا
 لنجدهم، ولا يهتز جَارُ
 مُثَلِّمةٌ وليس لها شِفَارُ
 يُعطِلُها التَّخَلُّفُ والفرارُ
 ولا من نخوةٍ فيهم تثارُ
 وما فيها لما يجرى اعتبارُ
 أمامَ المعتدي الباغي، وعارُ
 موازينٍ وأعجزَها القرارُ
 لَدَيْها مَنْ يُضَيِّرُ، ومن يُضَارُ
 نزلنا لا نُحِبُّ، ولا نُجَارُ
 لها فى كُلِّ مَوْبِأَةٍ شعارُ

تَهْيِجُ كَمَا دَبَابِيرِ عَلَيْنَا
ضَمَائِرُهَا مُعْطَلَةٌ، وَفِيهَا
وَعِزَّةٌ فِي مَعَارِكِهَا افْتِدَاءُ
فَلَيْسَ تَنَامُ، وَالْحُتْلُ ظُلْمًا
تُضْحِي فِي سَبِيلِ النَّصْرِ مَهْمًا
وَتُؤْمِنُ أَنَّهُ مَّا طَالَ لَيْلُ
وَتَلْسَعُنَا، وَيُؤْذِنَا السُّعَارُ
تَرْبَعَتُ الْمَذَلَّةُ وَالصَّغَارُ
صَبَاحَ، مَسَاءَ، يعلو الانفجارُ
لَهُ فِيهَا وُجُودٌ وَانْتِشَارُ
يَضِيقُ بِهَا وَيَشْتَدُّ الْإِسَارُ
بِهَا، إِلَّا وَأَعْقَبَهُ نَهَارُ



القاهرة : ١٩٩٢

غزة لا يفرقها البحر..

[تملئ رابين لو أن البحر يغرق غزة]

(١)

عَرُوسُ الْبَحْرِ، يَارَابِينُ لَا يُغْرِقُهَا الْبَحْرُ
وَلَا يُغْرِقُهَا الْحِقْدُ الَّذِي تَحْمِلُ وَالشَّرُّ
فَكَمْ أَيْدٍ كَسَرْتَ بِهَا، وَمَا رَكَّعَهَا الْكَسْرُ
وَكَمْ أُمٌّ بِهَا رَمَلَتْ، مَا أَرْهَبَهَا الْغَدْرُ
وَكَمْ طِفْلٌ بِهَا يَتِمَّتْ، شَبَّ لَوَاؤُهُ الثَّارُ

(٢)

حِجَارَتُهَا الَّتِي ثَارَتْ بِوَجْهِكَ عَسْكَرٌ مُجَرٌّ
صِغَارٌ مِنْ بَرَاْعِمِهَا تَفْحُ كَأَنَّهَا الْجَمْرُ
صِغَارٌ مِثْلُ مَوْجِ الْبَحْرِ، مَا دُحِرُوا وَلَا انْجَرُّوا
تَطَاطَى هَامَةُ الدُّنْيَا، لَهُمْ وَيُطَاطَى الْكِبَرُ
أَعَادُونَا إِلَى التَّارِيخِ، مِنْهُ الْمَجْدُ وَالْفَخْرُ

(٣)

وغزوة هذه القلعة ما زلزلها القهرُ
ولا أَرهَبَها هذا الحِصَارُ الشَّائِنُ المُرُّ
ولا ذلتُ، ولا هَانَتْ ولا استخذى بها نسرُ
وليس يباعُ في سُوقِ النِّخَاسَةِ عِنْدَهَا شِبْرُ
عروس البحرِ، يحضنها الندى والضَّوُّ والعطرُ

(٤)

لنا غزوة يا هذا، لنا ربواتُها الخُضْرُ
لنا الشُّطَّانُ والسَّاحَاتُ، والأشجارُ والزَّهْرُ
لنا زَيْتُونُهَا المَسْرُوقُ، والجُمَّيزُ والتَّمْرُ
لنا لِيْمُونُهَا وكرُومُهَا وعطاؤها البَكْرُ
لنا الشَّمْسُ التي تَعْلُو نَوَاحِيهَا لنا البَدْرُ
فكيف البحرُ يُغْرِقُهَا ومنها الحُبُّ والخيرُ
وفيها يُرْفَعُ التَّكْبِيرُ عَالٍ، يَنْهَضُ الذِّكْرُ
ودقاتُ النِّوَاقِيسِ العَذَابِ كأنها الشَّعْرُ
مدينتنا مقدسةُ التُّرَابِ رداؤها الطُّهْرُ

(٥)

لغزاة تخشعُ الأمواجُ، يَغْنُو المدُّ والجزرُ
ويدري البحرُ أن لها، وليسَ لغيرها الأمرُ
تقولُ له على الأعداءِ كُرَّ، إذا هُمُ وَاكُرُوا
فكم من حولها الأعداءُ رُدُّوا ذلةً فرُّوا
وكم غيَّبَهم موجٌ، وكم واراهاهم قَبِرُ

(٦)

فغزاة هاشم هذى، لها من ذكره ذِكْرُ
عروبتُها على التاريخِ، يحفظُ اسمها الدهرُ
فمن كنعانَ حتى مُتَهِى الدُّنيا لها الصَّدْرُ
وغزاة في كتابِ المجدِ، خَلَّدَ اسمُها عَمْرُ
حُمَاة الدَّارِ أهْلُوها، بها ولأجلها قَرُّوا
عماليقُ فوراسُها، أباةُ عَسْكَرٍ كَثُرُ
فما خُلِعُوا ولا رَكِعُوا ولا أَعْيَاهُمُ الصَّبْرُ
ميامينُ لهم في الحربِ، إمالوحتُ قَدْرُ
وليسَ لنا كَصِ عنها إذا ما دُوهمتْ عُذْرُ

(٧)

تقولُ البحرُ يُغرِقُها، وتحلمُ لو بها يذروا
ومنها يهدرُ الزلزالُ فيها يُجمعُ الحشرُ
لأن مدينةَ الأبطال لا يَهْنِي بِهَا الغَيْرُ
فَمَنْ «شمشون» حتى أنتَ، حتى ينتهى العُمُرُ
تظلُّ عصيةً غزّةً، يبقى شعبُها الحرُّ
يؤرق أعينَ الأعداء لفح صمودها المُرُّ

(٨)

هنا غزّة، يعلو صوتُها، يتفجرُ النَّبْرُ
بأن لنا وليسَ لكم، بها يتنفسُ الفَجْرُ
وإن لنا وليسَ لكم، بها يتحققُ النَّصْرُ
يقولُ صغارُها البُسلاء يعلو ينهضُ الجهرُ
عروسُ البحرِ يارابينُ، لا يُغرِقُها البحرُ



القاهرة : ١٩٩٢



عودة الغائب

[.. في أحضان غزة - بعد
غياب سبعة وعشرين عاما]

(١)

أتيتُ غَزَّةَ، طيراً شاردًا تعبًا
قَضَى سِنِينَ طَرِيدَ الدَّارِ مُغْتَرِبًا
مُجَرَّحَ الْقَلْبِ، مَكْلُومَ الْفُؤَادِ قَمًا
لَدَيْهِ عَانِي كَثِيرًا، جُرْعَ السَّغْبَا
وَقَفْتُ فِي بَابِهَا، لَهْفَانٍ مُنْتَظِرًا
إِذْ الدُّخُولَ، مَشُوقَ الرُّوحِ مُرْتَقِبًا
أَبْعَدَ كُلِّ سِنِينَ الْعُمُرِ، يَوْ قُفْنِي
فِي بَابِهَا، غَاصِبٌ، مَا زَالَ مُغْتَصِبًا؟
يَقُولُ لِي، وَهُوَ بِالْعَيْنِينَ يَا خُذْنِي
مَنْ حَيْثُمَا جِئْتَ، عُدْ . . يَا أَنْتَ مُنْقَلِبًا !!
أَعُودُ كَيْفَ . . ؟ فَيُلْقِي نَظْرَةً جَرَحَتْ
قَلْبِي، أَثَارَتْ بِهِ الْأَحْزَانَ وَالْغَضَبَا
هَذَا الْغَرِيبُ، كَمَا الشَّيْطَانُ يَوْ قُفْنِي
فِي بَابِ غَزَّةَ . . يَا وَيْلَاهُ، يَا عَجَبَا

(٢)

حَاوَرْتُ . . دَاوَرْتُ إِنِّي هَهْنَا أَبَدًا
وَلَكِنْ أَعْوَدُ، وَلَوْ مَزَقَّتْنِي إِرَبَا
وَبَعْدَ سَاعَاتٍ مَرَّتْ مِثْلَمَا عُمُرُ
مِنَ السِّنِينَ، وَقَلْبِي نَازِفٌ لَهَا بَا
عَبَرْتُ مِنْ رَفَحٍ، شَوْقًا، إِلَى رَفَحٍ
أَغْدُ خَطْوِي، مُشْتَاقًا، وَمُقْتَرِبًا

(٣)

أَتَيْتُ غَزَّةً، أَمَشِي فِي شَوَارِعِهَا
مَضْطَّعَ الْوَجْهِ، لَا إِسْمًا، وَلَا لَقَبًا
أَدُورُ فِيهَا كَمَجْنُونٍ يُدْلِهُهُ
حُبٌّ، أَضَاعَ بِهِ مِنْ عُمُرِهِ حَقْبًا
أَسْأَلُ الرِّيحَ، وَالْأَمْطَارَ عَنْ وَلَدٍ
كَمْ فِي شَوَارِعِهَا، كَمْ دَارَ كَمْ لِعَبَا
كَمْ بَاكِرَ الطَّيْرِ فِي صُبْحٍ يُغَازِلُهُ
وَكَمْ عَلَى الشَّطِّ، كَمْ غَنَى، وَكَمْ وَثْبًا

(٤)

أَهْذِهِ غَزَّتِي، مَنْ كُنْتُ أَغْرِفُهَا
لَا تَقْبَلُ الظُّلَمَ، لَا تَسْتَمِرِّي الْغُرَبَا

ما بالها طاطأت، للريح وانكسرت
 وسلّمت أمرها نهباً لمن نهبها
 أدور شرقاً، وغرباً في أزقتها
 أسائل الدور، والجدران، والخشب
 عمّن حملت لهم عمري محبتهم
 وما تخلف قلبي عنهم موثباً
 كانوا أمام عيوني، لا يفارقني
 شوق تجذّر في الأعماق وانسكب
 وكنت أزهر بهم، أعلو بذكرهم
 في إيما موقع، أسمو بهم نسباً
 وأعبر الأهل المسكون مندفعاً
 نحو الحواكير، مشتاقاً، ومنجذباً
 تدور عيّنات، في حزن وفي وجع
 تحاور الثين، والزيتون، والعنب
 أغزة هذه، من كنت أعرفها
 شمماً لا ترتضى، ذلاً ولا نصباً
 عمراً قضيت، أغنى في مفاتها
 في حبّها، أبدع الأشعار والأدبا
 كم ثقّت، ما تاق مثلي «الشافعي» لها
 وحنّ من مكة، شوقاً لها، وصباً
 فودّ لو كحلت بالثرب مقلثه
 منها، وناجى بها الإسلام العرباً

مَا بِالْهَامِثِ لِحَسَنَاءٍ مُعَفَّرَةٍ
شَاخَتْ، وَكُلُّ الذِّى أَهْوَاهُ قَدْ خَرِبَا

(٥)

هَذِي الْمَدِينَةُ، مَا نَامَتْ وَلَا رَكَنَتْ
لِظَالِمٍ . . . وَاسْأَلُوا التَّارِيخَ وَالْكِتَابَا
رَدَّتْ زُحُوفَ الصَّلَيبِينَ وَأَنْتَصَرَتْ
عَلَيْهِمْ مَوْدَحَرَّتْ جِيْشًا لَهُمْ لَجِبَا
وَيَوْمَ دَقَّ «هَوْلَاكُو» بَابَهَا وَقَفَتْ
فِي وَجْهِهِ، تُعْلِنُ الْعِصْيَانَ وَالْغَضَبَا
رَدَّتْهُ مِنْهُزِمًا، رَاحَتْ تُلَاحِقُهُ
«لَعِينِ جَالُوت» حَتَّى أَنْهَارَ وَانْسَحَبَا

(٦)

وَقَفْتُ بِالْمَسْجِدِ الْمَعْمُورِ أَسْأَلُهُ
عَنِ الْأَحْبَةِ، مَنْ صَلَّى، وَمَنْ خَطَبَا
وَأَسْتَرْدُ زَمَانًا، كُنْتُ أَحْمَلُهُ
بَيْنَ الْجَوَانِحِ، مَا وَلَّى، وَلَا ذَهَبَا
أَجَىءُ «كُلَيْتِي» عَلَى أَشِيمٍ بِهَا
مَنْ نَفَحَ أَيَامَهَا، بَعْضَ الذِّى غَرِبَا
أَعْيَدُ سُوقَ عُكَازٍ بَعْضَ ذَاكَرَتِي
أَيَّامَ كُنَّا بِهَا الشُّعْرَاءَ وَالْأَدَبَا

وَأَسْتَعِيدُ لِيَالِيهَا، مَجَالِسَهَا
وَأُبْعَثُ الرَّائِعَ الْمَاضِيَ الَّذِي حُجِبَ

(٧)

هَذِي الْمَدِينَةُ فِي الْوَجْدَانِ سَاكِنَةٌ
هِيَ هَاتِ، مَا هَمَّهَا مَنْ ضَلَّ أَوْ كَذَبَا
فِيهَا الْبَطُولَةُ، حَطَّتْ عِنْدَ مَوْلِدِهَا
تَطَاوَلَتْ أَفْرَعًا، وَاخْضَوْضَرَّتْ حَسَبَا
مَدِينَةُ دُونَ التَّارِيخِ قِصَّتُهَا
بِمَا تَسَامَتْ بِهِ عِزَّ آلِهَا وَإِبَا
مَدِينَةُ فِي كِتَابِ الْمَجْدِ مَنْزِلُهَا
مَخْلَدٌ بِمِدَادِ النُّورِ قَدْ كُتِبَا

(٨)

أَجَىءٌ بَعْدَ اغْتِرَابِي، كَيْفَ تُنْكِرُنِي
أَحَاوَلُ الْجُهْدَ، أَسْتَقْرِئُ بِهَا السَّبَبَا
مَاذَا أَغْيَرَهَا، بَعْدِي وَبِدَلِّهَا
مَنْ حَطَّ فِي أَرْضِهَا ظُلْمًا وَمَنْ غَصَبَا
الْإِخْتِلَالَ الَّذِي قَاسَتْهُ صَابِرَةٌ
وَعَفَّرَتْ أَنْفَهُ، فَاَنْزَاحَ وَاحْتَجَبَا
يَوْمَ انْتِفَاضَتِهَا فِي وَجْهِهِ وَتَبَّتْ
مَا مِثْلُهَا عَرَفَ التَّارِيخُ، أَوْ كَتَبَا

اللهُ أَكْبَرُ زِلْزَالٌ، وَعَاصِفَةٌ

أَقْوَى مِنَ الْغَادِرِ الْبَاغِي، وَمَا جَلَبَا
فَلَا السُّلَاحُ الذِّي وَافَاهُ أَعْجَزَهَا

وَلَا الْجِيُوشُ وَلَا مَنْ جَارَ وَاسْتَلَبَا
وَلَا سِيَاسَةٌ تُكْسِرُ الْعِظَامَ وَلَا

مَا دَبَّرَ الْبَغِيُّ فِي لَيْلٍ وَمَا نَصَبَا

مَدِينَتِي لَيْسَ لِي فِي الْكَوْنِ مِنْ بَلَدٍ

سِوَاكَ، مَا زِلْتَ لِي أُمًّا هُنَا وَأَبَا
أَجِيءُ طَالَ حَنِينِي طَالَ بِي لَهْفِي

أَضَعْتُ عُمْرِي، مُشْتَقًّا وَمُغْتَرِبًا
ظَلَلْتُ مِنْ بَلَدٍ أَمْضِي إِلَى بَلَدٍ

أَجُرُّعُ الظُّلْمَ، وَالْأَحْزَانَ وَالسَّغْبَا
أَجِيءُ بَعْدَ إِغْتِرَابِي، وَالْوَقَاءُ مَعِي

حَمَلْتُهُ، وَحَمَلْتُ الْإِسْمَ وَالنَّسَبَا
هَاتِي يَدِيكَ خُذِينِي إِنَّنِي تَعَبٌ

أَتَيْتُ أَنْفَضُ عَنِّي الْحُزْنَ وَالْتَّعَبَا



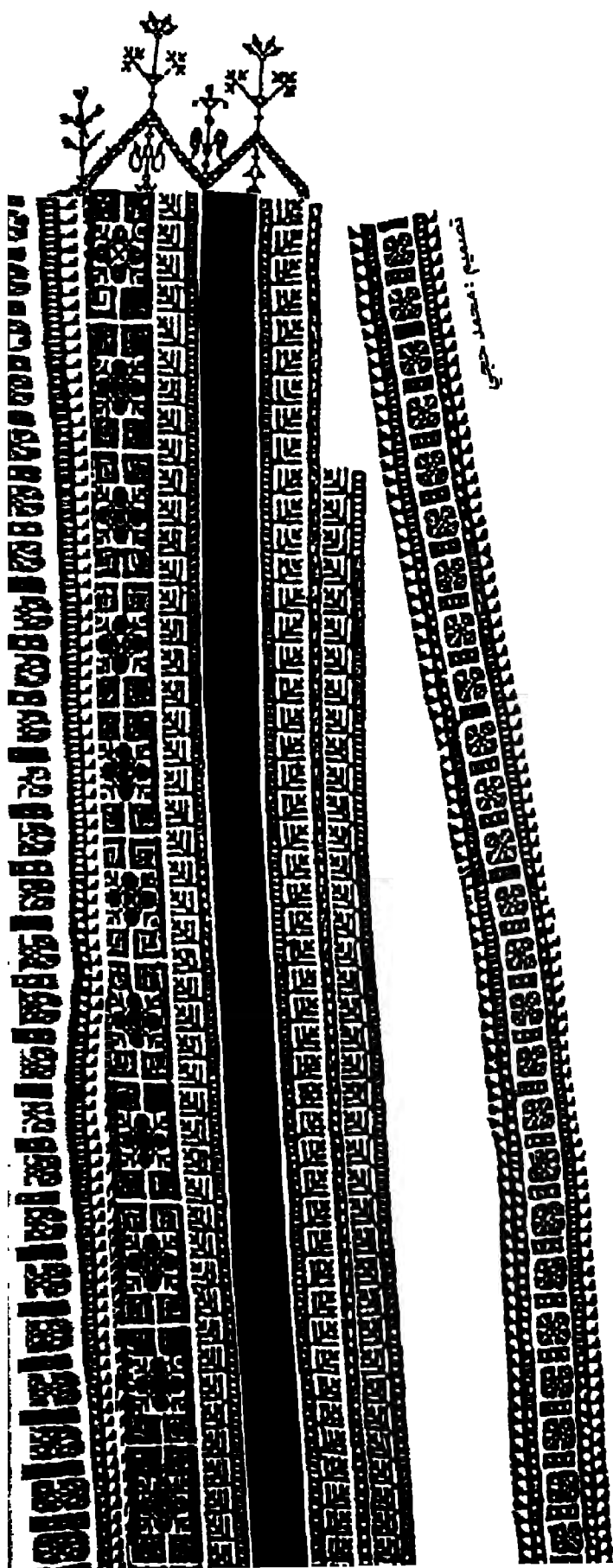
فهرست

صباح الخير أيها السجناء	٩
عين على السجناء	١٣
وردة على جبين القدس	١٧
نكون أو لا نكون	٤٩
منذر الدهشان	٥٥
اعتذار وانكسار	٦٣
الحبس الإداري	٦٩
يا أنت يا سمر	٧٥
رسالة مفتوحة	٨١
دعوة للكتابة	٩١
الأرنب وأم إسماعيل	٩٧
رسالة إلى المبعدين	١٠٣
صرخة إلى السماء	١٠٩
قصائد للانتفاضة	١١٧
قصيدة الانتفاضة	١١٩
الشبل الصغير	١٢٣
قصائد لغزة	١٢٩
غزة المحاصرة	١٣١
غزة لا يفرقها البحر	١٣٥
عودة الغائب	١٣٩

رقم الإيداع ٩٨/١٠٣٠٦
التقديم الدولي 3 - 0481 - 09 - 977

مطابع الشروق

القاهرة: ٨ شارع سيويه المصرى - ت ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس: ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت: ص.ب: ٨٠٦٤ - هاتف: ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣ - فاكس: ٨١٧٧٦٥ (٠١)



دارالشروق